

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الإيثار في القرآن والسنة

إعداد
غصون غنام فايز نايف

إشراف
د. عوده عبدالله

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس. فلسطين.

2014

الإيثار في القرآن والسنة

إعداد

غصون غنام فايز نايف

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 19 / 3 / 2014، وأجيزت.

التوقيع

أعضاء اللجنة المناقشة:

.....
ب

1. الدكتور عودة عبد الله / مشرفاً ورئيساً

.....
ب

2. الدكتور إسماعيل نواهضة / ممتحناً خارجياً

.....
ب

3. الدكتور خضر سوندك / ممتحناً داخلياً

الإهداء

إلى خير البشرية، النبي الهادي المصطفى صلى الله عليه وسلم

إلى المعلم الذي دُلل لي الصعاب وشجعتني على إكمال هذا الدرب، أبي الحنون

إلى الشمعة التي تحملت الصعاب من أجلي، أمي الغالي

إلى فلذات كبدي (يزن ومعن وسلافة)

إلى إخوتي وأخواتي

إلى أخي المرحوم أمثل غوادة رحمه الله

إلى زوجي الذي وقف إلى جانبي وساندني أثناء دراستي، أهدي هذا العمل المتواضع

سائلة الله عز وجل أن يجعله في ميزان حسناتي.

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وبعد:

فإنني أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي الفاضل الدكتور عودة عبدالله حفظه الله ورعاه، لتفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة، ولما أظهره من حسن التعامل والتوجيه والإرشاد والمتابعة؛ من أجل إخراج هذا العمل بهذه الصورة، فجزاه الله عني كل خير، ونفع به الإسلام والمسلمين.

وإنه من الواجب عليّ في هذا المقام أن أتقدم بالشكر والامتنان لعضوي لجنة

المناقشة، الدكتور خضر سوندك والدكتور إسماعيل نواهضة

لتكريمهما بمناقشة هذه الرسالة، سائلة المولى عز وجل أن يبارك في علمهما، وأن

ينفع بهما الإسلام والمسلمين.

إقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان: **الإيثار في القرآن والسنة**

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة، إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإنّ هذه الرسالة ككل، أو أيّ جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أيّة درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أيّة مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:

اسم الطالب:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

فهرس المحتويات

| الصفحة | المحتوى |
|--------|--|
| ب | قرار لجنة المناقشة |
| ت | الإهداء |
| ث | الشكر والتقدير |
| ج | إقرار |
| ح | فهرس المحتويات |
| ذ | الملخص |
| 1 | مقدمة |
| 2 | أهمية الدراسة |
| 3 | أسباب اختيار الموضوع |
| 3 | مشكلة الدراسة |
| 3 | أهداف الدراسة |
| 4 | منهجية الدراسة |
| 5 | فرضيات الدراسة |
| 5 | الدراسات السابقة |
| 6 | خطة البحث |
| 8 | الفصل الأول: حقيقة الإيثار |
| 9 | المبحث الأول: تعريف الإيثار لغة واصطلاحاً |
| 9 | المطلب الأول: الإيثار لغة |
| 10 | المطلب الثاني: الإيثار اصطلاحاً |
| 11 | المطلب الثالث: الإيثار ضد الأنانية |
| 13 | المبحث الثاني: الألفاظ ذات العلاقة بالإيثار |
| 13 | المطلب الأول: المحبة |
| 14 | المطلب الثاني: الاختيار |
| 16 | الفصل الثاني: مصطلح الإيثار في سياق القرآن الكريم والسنة النبوية |
| 17 | المبحث الأول: مصطلح الإيثار في السياق القرآني |

| الصفحة | المحتوى |
|--------|--|
| 17 | المطلب الأول: عرض مادة (أ ث ر) في القرآن الكريم |
| 18 | المطلب الثاني: الملحوظات العامة لورود مادة (أ ث ر) في القرآن الكريم |
| 18 | المطلب الثالث: معنى مادة (أ ث ر) في القرآن الكريم |
| 21 | المبحث الثاني: مصطلح الإيثار في سياق السنة النبوية |
| 21 | المطلب الأول: عرض مادة (أ ث ر) في السنة النبوية |
| 24 | المطلب الثاني: الملحوظات العامة لورود مادة (أ ث ر) في السنة النبوية |
| 25 | المطلب الثالث: معنى مادة (أ ث ر) في السنة النبوية |
| 27 | الفصل الثالث: أنواع الإيثار وصوره في القرآن الكريم والسنة النبوية |
| 28 | المبحث الأول: إيثار الدنيا على الآخرة |
| 28 | المطلب الأول: أسباب إيثار الدنيا على الآخرة |
| 41 | المطلب الثاني: علاج إيثار الدنيا على الآخرة |
| 45 | المبحث الثاني: إيثار الإيمان على الكفر |
| 45 | المطلب الأول: إيثار السحرة الإيمان بالله على إتباع فرعون |
| 49 | المطلب الثاني: إيثار ولاية الله ورسوله على ولاية الكافرين وإن كانوا أقرب الناس |
| 55 | المبحث الثالث: إيثار الكفر على الإيمان |
| 55 | المطلب الأول: إيثار قوم ثمود الكفر على الإيمان |
| 58 | المطلب الثاني: إيثار الكفر إتباعاً لهوى النفس |
| 60 | المطلب الثالث: إيثار الدنيا على الآخرة والكفر على الإيمان |
| 63 | المبحث الرابع: إيثار الله للصالحين في الأرض |
| 63 | المطلب الأول: إيثار يوسف عليه السلام على إخوته |
| 64 | المطلب الثاني: إيثار الصالحين من بني إسرائيل على غيرهم |
| 66 | المبحث الخامس: إيثار الغير على النفس |

| الصفحة | المحتوى |
|--------|--|
| 66 | المطلب الأول: إيثار رسول صلى الله عليه وسلم غيره على نفسه |
| 68 | المطلب الثاني: إيثار الأنصار لإخوانهم المهاجرين |
| 70 | المطلب الثالث: الإيثار في سلوك الصحابة والسلف الصالح |
| 73 | المطلب الرابع: إيثار الآخرين على النفس في القربات والطاعات |
| 76 | الفصل الرابع: آثار الإيثار على الفرد والمجتمع |
| 76 | أولاً: محبة الله تعالى |
| 78 | ثانياً: كمال الإيمان وحسن الإسلام |
| 79 | ثالثاً: حسن الظن بالله تعالى |
| 80 | رابعاً: وجوب الجنة والعتق من النار |
| 81 | خامساً: طريق موصل إلى الفلاح ولأنه يقي الإنسان من داء الشح |
| 81 | سادساً: توثيق المحبة بين أفراد المجتمع |
| 84 | الخاتمة |
| 86 | فهرس الآيات |
| 90 | فهرس الأحاديث الشريفة |
| 92 | المصادر والمراجع |
| B | الملخص باللغة الإنجليزية |

الإيثار في القرآن والسنة

إعداد

غصون غنام فايز نايف

إشراف

د. عوده عبدالله

الملخص

هذه الأطروحة دراسة موضوعية، وهي خطوة على طريق التفسير الموضوعي للقرآن الكريم والسنة النبوية، تناولت موضوع الإيثار من خلال الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، وقد قُسمت إلى أربعة فصول، ومقدمة وخاتمة، كان الحديث في المقدمة عن أهمية هذه الدراسة، وإبراز قيمتها للأمة الإسلامية، وأما بالنسبة للفصول، فقد كان الفصل الأول منها يدور حول معنى الإيثار في اللغة والاصطلاح والألفاظ ذات العلاقة به.

ثم يليه الفصل الثاني بعنوان: الإيثار في السياق القرآني والسنة النبوية الشريفة، ويدور هذا الفصل حول عرض مادة (الإيثار) في القرآن الكريم والسنة النبوية وأبرز الملاحظات واللطائف واللفقات لورود تصريفات مادة (الإيثار) في القرآن الكريم والسنة النبوية فتبين أن ألفاظ الإيثار في الآيات والأحاديث تحمل معاني متقاربة، فهي تدور بين التفضيل والإختيار والتخصيص.

ثم يليه الفصل الثالث بعنوان: أنواع الإيثار وصوره في القرآن والسنة، وهي: إيثار الدنيا على الآخرة، وإيثار الحق على الباطل، وإيثار الباطل على الحق، وإيثار الصالحين في الأرض، وإيثار الغير على النفس، ومن أبرز نتائج هذا الفصل أن الذم في إيثار الحياة الدنيا متعلق بإيثارها على الآخرة، أما أخذ الإنسان بحظوظه الدنيوية دون إيثارها على الآخرة فذلك غير مذموم، وأن الإيمان الحقيقي في النفس سببٌ رئيسيٌّ في إيثار الحق على الباطل.

أما الفصل الرابع والأخير فقد جاء بعنوان: آثار الإيثار على الفرد والمجتمع. ويتحدث عن محبة الله تعالى وكمال الإيمان وحسن الإسلام، وهو طريق موصل إلى الفلاح، ويؤدي إلى توثيق العلاقات بين الناس.

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى

بهديه وسار على دربه إلى يوم الدين وبعد:

فهذا البحث بعنوان (الإيثار في القرآن والسنة) قدمته بين يديّ تلة مباركة من أهل العلم

والاختصاص، راجية به ثواب الله عز وجل، ولعله يتتبعه إليه الكثير من الناس في مجتمعنا الذي يفتقر لهذا الخلق العظيم.

والإيثار: هو أن يجود المرء بما عنده مع الحاجة إليه، وهو أعلى درجات السخاء،

والمتصفون به هم المفلحون، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ

إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ

وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ (1) .

فالإيثار خلق من الأخلاق العظيمة ، وأدب نبوي تأدب به صلى الله عليه وسلم فكان من

جملة أخلاقه، والتي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿ (2) . ومن الأمثلة على

ذلك، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فبعت إلى

نساءه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ يَضُمُّ . أَوْ يَضِيفُ .

هَذَا؟)) فقال رجلٌ مِنَ الأنصار : أنا . فانطلقَ بهِ إلى امرأتهِ فقال: أكرمي ضيفَ رسولِ الله صلى

الله عليه وسلم . فقالت: ما عندنا إلا قُوتٌ صِيباني . فقال: هَيِّئِي طعامَكَ، وأصِبحي سِراجَكَ،

وَتُومي صِيبانَكَ إذا أرادوا عِشاءً . فهَيَّأتِ طعامها، وأصِبحَتِ سِراجها، وتُومتِ صِيبانها، ثم قامت

(1) سورة الحشر ، 9

(2) سورة القلم ، 4

كأنها تُصلِحُ سِرَاجَهَا فَأُطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ . فلما أصبحَ عَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ . أَوْ عَجِبَ . من فَعَالِكَمَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (1)

أهمية الدراسة :

توضح هذه الدراسة الإيثار في الإسلام وأسسها التي ينبغي أن يتحلى بها المسلمون في المجتمع الإسلامي لما له من أهمية كبيرة في تربية الجيل المسلم تربية إيمانية ترتقي به .

وبالتالي تظهر أهمية هذه الدراسة في استجلاء أسس الإيثار في القرآن الكريم والسنة النبوية، لتؤكد أن المنهج التربوي الإسلامي ركز على خلق الإيثار بشكل كبير لما له من أهمية كبرى في الحياة الإسلامية .

إضافة إلى أن المأمول من هذه الدراسة أن تعطي قناعة بأن منهج التربية الإسلامية وزرع مبدأ الإيثار في قلوب المسلمين يعزز من إيجاد المجتمع السليم السوي ويزيد من أثر الدعوة الإسلامية

ولعل هذا يعطي مؤشرا بأهمية مثل هذه الدراسة ليستفيد منها القائمون على المؤسسات التربوية والدعوية والأهالي ، باعتبار أنها الركيزة الأساسية في تغيير الأخلاق والحياة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي .

(1) البخاري ، أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري ، 9 مج، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (ط1-1422هـ) كتاب المناقب، باب (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ، رقم (3798)، (34 /5).

أسباب اختيار الموضوع :

لقد آثرت الكتابة في هذا الموضوع ((الإيثار في القرآن والسنة)) لعدة أسباب تتلخص في الآتي :

1- الميل الشخصي إلى التعرف على ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حول هذا الخلق العظيم ، للاستفادة والتعلم ، ونفع الآخرين .

2- الحث على تطبيق خلق الإيثار في مجتمعاتنا، لأنه قلما نجد هذا الخلق عند الناس في وقتنا الحاضر .

لهذه الأسباب اخترت الكتابة في هذا الموضوع ، وأتمنى من الله الإخلاص والتوفيق في عملي .

مشكلة الدراسة :

ستجيب هذه الدراسة على الأسئلة التالية :

1- ما معنى الإيثار لغة واصطلاحاً ؟

2- ما أهمية الإيثار في واقع الحياة في المجتمع المسلم ؟

3- ما أهم مظاهر الإيثار ؟

4- ما الإشارات التربوية للنصوص الفنية والنبوية التي تكلمت عن الإيثار ؟

5- ما الثمار التي يمكن أن تتحقق من خلال شيوع هذا الخلق في المجتمع المسلم؟

أهداف الدراسة :

تتلخص أهداف هذه الدراسة بما يلي :

1. جمع الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تناولت خلق الإيثار ، وتفسيرها تفسيراً موضوعياً.

2. إبراز أهمية خلق الإيثار في الحياة المعاصرة، وخاصة أن الكثير من الناس قد غفلوا عنه.
- 3- استخلاص الدروس والعبر من حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة رضوان الله عليهم، والتي تعد نموذجاً يحتذى به في هذا المجال.
4. معرفة الثمار والنتائج الإيجابية التي ستعكس على مجتمعنا إذا شاع فيه خلق الإيثار .

منهج البحث :

اتبعت الباحثة في دراستها المنهج الإستقرائي والتحليلي وذلك باتباع الخطوات التالية:

- 1- تتبع الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ذات الصلة بموضوع الإيثار.
- 2- دراسة أقوال أهل التفسير وشُراح الحديث في بيان معاني الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.
- 3- توثيق الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية ، في الهامش .
- 4- نسبة الأحاديث إلى مصادرها، والاكتفاء بما صح منها، والحكم على الأحاديث التي في غير الصحيحين .
- 5- توثيق المصادر والمراجع وفق المتعارف عليه في البحث العلمي ، بحيث يكون توثيقاً كاملاً عند أول وروده، ثم أكتفي باسم مؤلف الكتاب والجزء والصفحة إذا ورد مرة أخرى.
- 6- كتابة ملخص بنتائج الدراسة وعرض موجز لما تم التوصل إليه من نتائج في آخر الدراسة
- 7- عمل فهرس متنوعة لهذا البحث .

فرضيات الدراسة :

1- الإيثار خلق عظيم، حث عليه القرآن الكريم، وحثت عليه السنة النبوية.

2- القرآن أجمل موضوع الإيثار، والسنة فصلت فيه .

3- تضمن القرآن الكريم والسنة النبوية نماذج عملية لخلق الإيثار .

4- توجد آثار ايجابية لتطبيق خلق الإيثار في المجتمع.

الدراسات السابقة :

الدراسات السابقة التي تحدثت عن الإيثار منفرداً قليلة، ولكن هناك الكثير من الدراسات السابقة واللاحقة التي تحدثت عن الأخلاق الإسلامية وأثرها ومدى تطبيقها في المجتمع الإسلامي، ومن أهم هذه الدراسات :

1. كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي، وتناول في بعض مباحثه الحديث عن الإيثار وفضله، وعرض لبعض النماذج في الإيثار كإيثار علي رضي الله عليه.

3. كتاب (تهذيب مدارج السالكين) ابن قيم الجوزية، وبين في كتابه منزلة الإيثار .

4- كتاب (الأخلاق في الإسلام) للدكتور كايد فرعوش، تحدث في كتابه عن الإيثار والأثرة ومظاهر الإيثار، وبواعث الإيثار وغير ذلك .

5 . كتاب (التمكين في شرح منازل السائرين) للمنوفي، تحدث في كتابه عن درجات الإيثار.

6- كتاب (تربية الأولاد في الإسلام) لعبد الله علوان، بين في كتابه مظاهر الإيثار في المجتمع المسلم .

7. كتاب (طريق الهجرتين وباب السعادتين) لابن قيم الجوزية: تحدث فيه عن درجات الإيثار.

8 .رسالة ماجستير بعنوان (الإيثار في الشريعة الإسلامية)، لفاطمة منور عامر، جامعة الجزائر، دولة الجزائر، تناولت فيها الباحثة موضوع الإيثار وما يترتب عليه من أحكام فقهية وهي دراسة فقهية.

أما رسالتي فتناولت الموضوع من ناحية موضوعية، من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، بحيث يتم التركيز على الألفاظ ذات العلاقة بالإيثار، ومصطلح الإيثار في سياق القرآن الكريم وأنواع الإيثار وصوره وآثاره.

خطة البحث :

قسمت بحثي إلى مقدمة وخاتمة وأربعة فصول على النحو الآتي :

الفصل الأول : حقيقة الإيثار .

المبحث الأول : تعريف الإيثار لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : الألفاظ ذات العلاقة بالإيثار .

الفصل الثاني :مصطلح الإيثار في سياق القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث الأول : مصطلح الإيثار في السياق القرآني .

المبحث الثاني : مصطلح الإيثار في سياق السنة النبوية .

الفصل الثالث : أنواع الإيثار وصوره في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث الأول : إيثار الدنيا على الآخرة .

المبحث الثاني : إيثار الإيمان على الكفر .

المبحث الثالث: إيثار الكفر على الإيمان.

المبحث الرابع: إيثار الله للصالحين في الأرض.

المبحث الخامس : إيثار الغير على النفس .

الفصل الرابع : آثار الإيثار على الفرد والمجتمع .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة .

الفصل الأول

حقيقة الإيثار

المبحث الأول: تعريف الإيثار لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: الألفاظ ذات العلاقة بالإيثار

حقيقة الإيثار

المبحث الأول: تعريف الإيثار لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول: الإيثار لغة:

"الهمزة والثاء والراء، له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي"⁽¹⁾.

وما يهمننا من الأصول الثلاثة، الأول: بمعنى تقديم الشيء، وهو مأخوذ من مادة أثر التي تدل على هذا المعنى.

"وَأَثَرَ: اخْتَارَ وَفَضَّلَ، وَقَدَّمَ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾"⁽²⁾⁽³⁾
والمعنى: "لقد فضلك الله علينا، واختارك"⁽⁴⁾.

"والأثرة: بمعنى التقدم والاختصاص، من الإيثار. والأثرة: بالضمّ المكرومة المتوارثة، ويستعار (الأثر) للفضل، والإيثار للتفضيل"⁽⁵⁾.

"والاستئثار: الإنفراد بالشيء، ومنه حديث عمر: (قَوْلَهُ مَا اسْتَأْتَرْتُ بِهَا عَلَيْكُمْ وَلَا أَخَذْتُهَا دُونَكُمْ)⁽⁶⁾"⁽⁷⁾.

(1) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا (ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر (1399هـ - 1969م)، (53/1).

(2) سورة يوسف: 91.

(3) الزبيدي، محمد بن مرتضى الحسيني (ت1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المختصين، دار الهداية، (20/10).

(4) السمرقندي، أبو الليث، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: 373هـ)، بحر العلوم، (بلا تاريخ نشر وبلا طبعه) (208/2).

(5) أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني، الكفوي (ت1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان دروش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت، (40/1).

(6) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث - بيروت، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء حديث (1757)، (1377/3).

(7) ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت: 711هـ)، لسان العرب، فصل الألف، 15مج، دار صادر - بيروت، 3ط (1414هـ)، (8/4).

والذي نلاحظه من خلال هذه التعريفات، أنها كلها مترابطة، فالإيثار يراد به التقديم والتفضيل والاختيار والاختصاص، وعكسه الاستئثار وهو الانفراد بالشيء وتخصيصه لنفسه.

المطلب الثاني: الإيثار اصطلاحاً.

ورد الكثير من التعريفات التي تدور حول معنى الإيثار نذكر منها:

ما ذكره القرطبي في كتابه (الجامع لأحكام القرآن): "الإيثار: هو تقديم الغير على النفس وحفظها الدنيوية، ورغبةً في الحظوظ الدنيوية. وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة، يُقال: آثرته بكذا، أي خصصته به وفضلته"⁽¹⁾.

وقال الجرجاني: "الإيثار أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة"⁽²⁾.

وعرفه ابن مسكويه بأنه: "فضيلة للنفس بها يكف الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذله لمن يستحقه"⁽³⁾.

"والإيثار: إرادة الشيء على جهة التفضيل له على غيره ومنه الاختيار"⁽⁴⁾.

ويرى ابن قيم الجوزية أن الإيثار: "تخصيص واختيار"⁽⁵⁾.

(1) القرطبي، أبي عبدالله، محمد من أحمد الأنصاري (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، 20مج، تحقيق: أحمد البردوي وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط2، (1384/ 1964)، (26/18). وأنظر: ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي (ت880هـ)، اللباب في علوم الكتاب، 20مج، تحقيق: عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1419هـ - 1998م)، (590/18).

(2) الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت816هـ)، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1403هـ - 1983م)، (40/1).

(3) ابن مسكويه، ابي علي، أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي (ت421هـ)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، 1مج، تحقيق: ابن الخطيب، ط1، (130/1).

(4) ابن فورك، أبو بكر، محمد بن الحسن (ت406هـ)، تفسير ابن فورك، تحقيق: علال عبدالقادر بندويش، جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية، ط1، (1430 - 2009م)، (144/3).

(5) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله، محمد بن أبي بكر (ت751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، 2مج، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3، (1416هـ - 1996م)، (283/2).

نستنتج من هذه التعريفات، أنها متقاربة في المعنى، وأنه لا يوجد تناقض بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، حيث إن الإيثار لا يخرج عن كونه تقديم الغير على النفس في أمر هو بحاجة إليه، رغبة في الأجر والفوز بالجنة والتخلص من الأنانية في النفس.

المطلب الثالث: الإيثار ضد الأنانية:

"تختلف النظرة الأخلاقية من حيث جانب الإيثار أو الأنانية، فالإيثار تفضيل الإنسان غيره على نفسه، وقد حثنا الإسلام على الإثارة في قوله تعالى: ﴿وَيُؤَثِّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾⁽¹⁾. أي يقدمون غيرهم على أنفسهم ولو كانوا محتاجين، وقوله تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾⁽²⁾. والإيثار صفة خلقية محبوبة لأنها تعزز الروابط الاجتماعية بين الناس وتحقق التراحم بينهم، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه"⁽³⁾.

أما الأنانية فهي صفة أخلاقية مرفوضة لأنها تقوم على حب الذات، وتمركز الشخص حول نفسه ومصالحته بصرف النظر عن الآخرين، فلا يهتم الفرد إلا بمصلحته... وهذه أنانية بغيضة نهانا عنها ديننا الحنيف"⁽⁴⁾.

وحول انتشار الأنانية في مجتمعاتنا يحدثنا الدكتور السباعي حيث يقول: "الحق أن هذه الحياة التي نعيشها اليوم تكاد تمحى فيها آثار هذا الخلق الإنساني الجميل، فأنت أينما سرت وأينما فنتشت في زوايا مجتمعنا الحاضر، وجدت أنانية تطغى على كل شيء، وجدت أنانية الأب تطغى على علاقته مع أولاده، وأنانية الزوج على علاقته مع زوجته...، أنانية طغت على كل فئة في الشعب، فالتاجر لا يفكر إلا في تجارته، والزراع لا يهتم إلا بزراعته، والموظف لا يبالي إلا

(1) سورة الحشر: 9.

(2) سورة آل عمران: 92.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه، رقم الحديث (13)، (12/1).

(4) مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، (1425هـ - 2005م)، (163/1).

بوظيفته، هذه الأناية هي التي نزعَت الثقة من بين المواطنين، وقطعت وشائج الرحم بين ذوي القربى، وأضعفت روابط الإنسانية بين الناس بعضهم مع بعض، حتى كاد الجار ينتكر لجاره والصديق لصديقه، في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى تعاون على مشكلات الحياة ننجو به من كوارثها وويلاتها... ومع هذا ففي مجتمعنا ظواهر من الإيثار تدع الأمل في تبيد ظلمات الأناية قوياً مشرقاً فهؤلاء الذين استشهدوا في بطاح فلسطين من شبابنا، والذين سبقوا إلى الاستشهاد في معارك التحرير من تاريخنا الحديث... كل هؤلاء ليسوا إلا طلائع ركب التضحية والإيثار⁽¹⁾. ومن صور الإيثار كذلك إيثار الآباء والأمهات لأولادهم، وقد يكون هذا الإيثار دافعه الحب وتحقيق السعادة لهم.

"أما الإيثار المثالي، ... فهو الإيثار الذي نجده عند المؤمنين الصادقين الذين يعاملون الله تعالى، ويبتغون رضوانه، ويرجون الأجر عنده... فهؤلاء هم الذين تتسع دائرة الإيثار عندهم، فحيثما وجدوا مرضاة الله في إيثارهم غيرهم على أنفسهم، توقد في قلوبهم الإيمان، فأثروا على أنفسهم ابتغاء مرضاة الرحمن، ولو كان بهم خصاصة (أي: ضرورة أو حاجة) وقدموا مصالح أنفسهم الدنيوية ضحايا وقرابين لتذبح على مذبح ابتغاء الخير والفضيلة"⁽²⁾.

من هنا ندرك عظمة التمسك بخلق الإيثار في زماننا هذا، وعلى أهل العلم والدين في أمتنا الإسلامية أن يرسخوا هذا الخلق في حياة الناس، ولتخرج أمتنا من خلق الأناية وحب الذات المسيطر على النفوس إلى حب الخير ومساعدة الآخرين رغبة في مرضاة الله تعالى.

(1) السباعي، د. مصطفى، أخلاقنا الاجتماعية، المكتب الإسلامي، (ط4-1397هـ)، (28-29).

(2) الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، 2مج، دار القلم- دمشق، ط2، (1407هـ - 1987م)، (451).

المبحث الثاني

الألفاظ ذات العلاقة بالإيثار

من بين الألفاظ الواردة في القرآن الكريم، والتي تشبه لفظة الإيثار في المعنى الألفاظ التالية: المحبة، والاختيار، وسأتناول كلاً منها في مطلب خاص، أبين من خلاله معناه ودلالته في السياق القرآني.

المطلب الأول: المحبة

"الحُبُّ تَقْيُضُ البُعْضُ، والحبُّ الودادُ والمَحَبَّةُ"⁽¹⁾. والمحبة على ثلاثة أوجه⁽²⁾:

1. محبة للذة، كمحبة الرجل المرأة.

2. ومحبة للنفع، كمحبة شيء يُنتفع به.

3. ومحبة للفضل، كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم.

قال أبو البقاء الكفوي: "الحب هو عبارة عن ميل الطبع في الشيء الملد، فإن تأكد الميل وقوي يُسمى عشقاً"⁽³⁾.

وقد وردت المحبة في القرآن الكريم للدلالة على معنى الإيثار، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ

أَسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾⁽⁴⁾، أي اختاروا الكفر وآثروه على الإيمان⁽⁵⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب، (289/1).

(2) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - دار الشامية دمشق - بيروت، ((ط1-1412هـ)، (214/1).

(3) أبو البقاء، الكليات، (398/1).

(4) سورة التوبة: 23.

(5) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (215/1)، والنسفي، أبو البركات، عبدالله بن أحمد بن محمود (ت710هـ). (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، 3مج، تحقيق: يوسف على بديوي، دار الكلم الطيب - بيروت، ط1، (1419هـ - 1998م)، (671/1). الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت 1069هـ)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، 8مج، دار صادر - بيروت، (308/7).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ (1) "أي: آثروا طريق الضلال على طريق الرشd" (2)، "واختاروا الكفر على الإيمان" (3)، وكذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ (4)، أي "آثروا الحياة الدنيا على الآخرة" (5)، وفسرها الرازي بأنهم: "رجحوا الدنيا على الآخرة" (6).

قال النسفي: واعلم أن المؤمن يجوز أن يطلب الدنيا، ويطلب الآخرة، ولكن لا يؤثر الدنيا على الآخرة إلا الكافر (7)

المطلب الثاني: الاختيار

قال ابن فارس: "الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، ثم يحمل عليه، فالخير خلاف الشر، لأن كل أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه" (8).

"والاختيار: الاصطفاء وكذا التخير" (9). ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَخَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾ (10).

أما الفرق بين الاختيار والإيثار فهو: "أن الإيثار على ما قيل: هو الاختيار المقدم، والشاهد قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّوْا لِلَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ (11) أي قدم اختيارك علينا، وذلك

(1) سورة فصلت: 17.

(2) السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي (ت 489هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم ابن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1، (1418هـ - 1997م)، (45/5).

(3) النسفي، مدارك التنزيل، (231/13).

(4) سورة النحل: 107.

(5) السمعاني، تفسير القرآن، (204/3).

(6) الرازي، أبو عبدالله، محمد بن عمر بن الحسن الحسين التميمي، (ت 606هـ)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط3- 1420هـ)، (276/20).

(7) النسفي، مدارك التنزيل، (236/2).

(8) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (232/22).

(9) الرازي، زين الدين، أبو عبدالله، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، (666هـ) مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت- صيدا، ط5، (1420هـ / 1999م)، (ج1/99).

(10) سورة الأعراف: 155.

(11) يوسف: 92.

أنهم كلهم كانوا مختارين عند الله تعالى لأنهم كانوا أنبياء، واتسع في الاختيار فليل لأفعال الجوارح اختيارية تفرقة بين حركة البطش وحركة المجس⁽¹⁾ وحركة المرتعش، وتقول: اخترت المروي⁽²⁾ على الكتان؛ أي اخترت لبس هذا على لبس هذا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾ أي اخترنا إرسالهم. وتقول في الفاعل مختار لكذا وفي المفعول مختار من كذا، وعندنا أن قوله تعالى: (أترك الله علينا) معناه أنه فضلك الله علينا، وأنت من أهل الأثرة عندي؛ أي ممن أفضله على غيره بتأثير الخير والنفع عنده، واخترتك أخذتك للخير الذي فيك في نفسك، ولذا يقال: آثرتك بهذا الثوب وهذا الدينار ولا يقال اخترتك به، وإنما يقال اخترتك لهذا الأمر⁽⁴⁾.

وفي نهاية هذا المبحث، فإنه من الملاحظ أن هناك ارتباطاً بين مفهوم الإيثار، والألفاظ ذات العلاقة في القرآن الكريم، فالإيثار يتضمن معنى المحبة والإختيار.

(1) المَجْسُ، والمَجْسَةُ: مَمْسَةٌ ما جَسَنَتْهُ بِيَدِكَ، ابن منظور، لسان العرب، (38/6).

(2) المروي بفتح الميم واسكان الراء منسوب الى مرو مدينة معروفة بخرسان وينسب إليها أيضا المروزي والهروي والمدوزي نوعان من القطن والكتاب بفتح الكاف. النووي، ابو زكريا محيي الدين بن شرف (ت 676هـ)، تحديد ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم - دمشق، (ط1-1408)، (ص261).

(3) الدخان: 32.

(4) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل (395هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر ص 125.

الفصل الثاني

مصطلح الإيثار في سياق القرآن الكريم والسنة النبوية

المبحث الأول: مصطلح الإيثار في السياق القرآني.

المبحث الثاني: مصطلح الإيثار في سياق السنة النبوية.

المبحث الأول

مصطلح الإيثار في السياق القرآني

المطلب الأول: عرض مادة (أ ث ر) في القرآن الكريم.

فيما يلي عرض لمادة (أ ث ر) بالقصر والمد على اختلاف صيغها واشتقاقاتها في القرآن الكريم، وسأعرض الآيات التي حوت هذه المادة وفقاً لتكرار ورودها في القرآن الكريم، مبيناً رقم الآية واسم السورة، ومكية أو مدنية، وذلك لملاحظة تطور ورود مادة (أ ث ر) في القرآن الكريم، وفيما يلي بيان ذلك⁽¹⁾.

| الرقم | المفردة وعدد مرات ورودها | الشاهد | السورة | رقم الآية | بيان المكي والمدني من الآيات |
|-------|--------------------------|--|----------|-----------|------------------------------|
| 1 | أَثَرَ (مرة واحدة) | وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا | النازعات | 38 | مكية |
| 2 | أَثَرَكَ (مرة واحدة) | قَالُوا تَأَلَّهَ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ | يوسف | 91 | مكية |
| 3 | تُؤَثِّرُونَ (مرة واحدة) | بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا | الأعلى | 16 | مكية |
| 4 | نُؤَثِّرُكَ (مرة واحدة) | قَالُوا لَنْ نُؤَثِّرَكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْنَتِ | طه | 72 | مكية |
| 5 | يُؤَثِّرُونَ (مرة واحدة) | وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ | الحشر | 9 | مدنية |

(1) انظر: مادة (أ ث ر) عند عبد الباقي، محمد فؤاد (ت 988 هـ)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان، (ص 11-12).

المطلب الثاني: الملحوظات العامة لورود مادة (أ ث ر) في القرآن الكريم.

1. عدد السور التي وردت فيها مادة (أ ث ر) على اختلاف صيغها ومشتقاتها خمس سور.
2. أكثر السور التي وردت فيها مادة (أ ث ر) هي سور مكية، حيث وردت مشتقات هذا المصطلح في أربع سور مكية وسورة مدنية واحدة وهي سورة الحشر. وذلك راجع لطبيعة القرآن المكي الذي يركز على الأخلاق بينما المدني على الأحكام التشريعية، والإيثار خلق من هذه الأخلاق التي أولاهها القرآن المكي عناية خاصة.
3. جاءت ألفاظ الإيثار في الآيات القرآنية تحمل معاني متقاربة في سياقاتها، يجمعها ما سبق بيانه من المعنى الذي تضمنه لفظ الإيثار في اللغة والاصطلاح، وخاصة معنى التفضيل والاختيار.

المطلب الثالث: الملاحظات واللطائف واللفظات لورود تصريفات مادة (أ ث ر) في القرآن الكريم.

بالنظر في الآيات القرآنية التي وردت فيها هذه المادة، نجد أنها وردت على صيغتين، هما:

أولاً: فعل ماضٍ: آثَرَ: فعل ماضي مضاف إلى ظاهر، ورد مرة واحدة.

آثَرَكَ: فعل ماضٍ مضاف إلى ضمير المخاطب، ورد مرة واحدة.

ثانياً: فعل مضارع: تُؤثِرُونَ: فعل مضارع متصل بالواو والنون للجماعة، ورد مرة واحدة.

يُؤثِرُونَ: فعل مضارع متصل بالواو والنون، ورد مرة واحدة.

تُؤثِرُكَ: فعل مضارع مضاف إلى ضمير المخاطب، ورد مرة واحدة.

ومن الملامح البارزة والخطوط العامة التي نلمحها في مواضع ورود هذه اللفظة، ما يأتي:

1. صفة الإيثار وإن كانت بارزة عند الأنصار لإخوانهم المهاجرين إلا أنها في الحقيقة صفة عامة لجميع المسلمين يستحب الالتزام بها.

2. "يؤثر بعض الناس أو أغلبهم الدنيا ويترك الاستعداد للآخرة، والآية: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾⁽¹⁾ إشارة إلى الزجر على الالتفات إلى الدنيا والترغيب في الآخرة وفي ثواب الله تعالى، وهذه أمور لا يجوز أن تختلف باختلاف الشرائع"⁽²⁾.

3. في قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾⁽³⁾ "ذكر الإيثار والدنو أولاً يدل على الترك والعلو ثانياً، وذكر الخير والبقاء ثانياً يدل على ضدهما أولاً، وسر ذلك أنه لا يؤثر الدنيء إلا دنيء، فَذَكَرَهُ أولاً لأنه أشد في التنفير، وذكر الخير والبقاء ثانياً لأنه أشد في الترغيب"⁽⁴⁾.

4. وقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾⁽⁵⁾ "الإضراب فيه عن كلام مقدر يفهم من السياق. والمعنى: لقد بينت لكم ما يؤدي إلى فلاحكم وفوزكم... ولكنكم -يا بني آدم- كثير منكم لم يستجب لما بينته له، بل أنتم تؤثرون الحياة الدنيا، بأن تقدموا زينتها وشهواتها ومتاعها على ما ينفعكم في آخرتكم... ويرى العلماء: أن الخطاب للكافرين على سبيل الالتفات، ويؤيد أن الخطاب للكافرين قراءة أبي عمر بالياء على طريقة الغيبة"⁽⁶⁾.

(1) سورة الأعلى: 16، 17.

(2) الزحيلي، د. وهبه بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 30 مج، دار الفكر المعاصر، دمشق، (201/30).

(3) سورة الأعلى: 16، 17.

(4) البقاعي، ابي بكر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي، (ت 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 22 مج، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (406/21).

(5) سورة الأعلى: 16، 17.

(6) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، (ط1) 1998-، (368/15).

5. قال تعالى: ﴿ وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾⁽¹⁾، "الآية تشير إلى سلامة الصدور وسخاوة الأنفس، وهذا كان وصف الصحابة رضي الله عنهم وبهذين الخصلتين فاقوا جميع الناس"⁽²⁾، "ومفعول يُؤْتِرُونَ محذوف أي يؤثرونهم ويخصونهم بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم"⁽³⁾.

(1) سورة الحشر: 9.

(2) ابن عجيبة، ابو العباس، احمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني (ت 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي، رسلان، د. حسن عباس زكي، القاهرة. دار الكتب العلمية - بيروت، ط2 (1423هـ-2002م)

(3) النيسابوري، نظام الدين، الحسن بن محمد بن حسن القمي (ت 850هـ)، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت (ط1- 1416هـ)، (6/285).

المبحث الثاني

مصطلح الإيثار في سياق السنة النبوية

المطلب الأول: عرض معاني مادة (أ ث ر) في السنة النبوية.

فيما يلي عرض لمادة (أ ث ر) بالقصر والمد على اختلاف صيغها واشتقاقاتها في السنة النبوية، وسأعرض الأحاديث التي حوت هذه المادة وفقاً لتكرار ورودها في الكتب الستة، وذلك لملاحظة تطور ورود مصطلح (أ ث ر) في السنة النبوية، وفيما يلي بيان ذلك⁽¹⁾.

| المفردة وعدد مرات ورودها | الرقم | الشاهد | مكان ورودها في الكتب الستة | الكتاب | رقم الباب | الحكم ⁽²⁾ على الأحاديث |
|---------------------------------|-------|--|----------------------------|--------------------|-----------|-----------------------------------|
| آثر مرتان | 1 | لَمَا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ آتَرَ النَّبِيَّ نَاسًا | البخاري مسلم | مغازي، خمس زكاة | 56، 19 | صحيح |
| فيؤثر (1) | 2 | فيؤثر على نفسه... كما آثر الأنصار المهاجرين | البخاري | زكاة | 140 18 | صحيح |
| فأثر (1) مرة | 3 | فآثر التَّوَيْنَاتِ وَالْأَسَامَاتِ وَالْحُمَيْدَاتِ | البخاري | تفسير القرآن | 9 | صحيح |
| وآثرنا، تُؤثر (1) مرة | 4 | وآثرنا ولا نُؤثر علينا | الترمذي | تفسير القرآن | 1 | ضعيف |
| مؤثراً (1) مرة لآثرت (1) مرة | 5 | لَوْ كُنْتُ مُؤَثَّرًا بِهَا أَحَدًا لَأَثَرْتُ بِهَا عَشِيرَتِي | مسلم | فضائل الصحابة | 178 | صحيح |

⁽¹⁾ انظر: مجموعة من المستشرقين، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، 8م، مكتبة بريل، ليدن، 1936م، (13-12/1).

⁽²⁾ اعتمدت قول الألباني في الحكم على الأحاديث في غير الصحيحين.

| المفردة وعدد مرات ورودها | الرقم | الشاهد | مكان ورودها في الكتب الستة | الكتاب | رقم الباب | الحكم على الأحاديث |
|--------------------------|-------|--|----------------------------|-----------------------|---------------|--------------------|
| مُؤَثَّرَةٌ (1) مرة | 6 | ... شُحاً مُطَاعاً وَهَوًى مُتَّبِعاً وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةٌ | أبو داود ابن ماجة | ملاحم فتن | 17 21 | ضعيف |
| أُوثِرَ (3) مرات | 7 | لا أريد يا رسول الله أن أُوثِرَ عليك أحداً | البخاري | تفسير القرآن | 7 | صحيح |
| | 8 | لم أُوثِرْ أحداً على نفسي | أبو داود | نكاح | 38 | صحيح |
| | 9 | لا أُوثِرُ بنفسِي منك أحداً | البخاري | مظالم | 12 | صحيح |
| | | | | أشربة | 19 | |
| | | | | ساقاه 1 | 10 | |
| | | | مسلم | أشربة | 127 | |
| أُوثِرْتُ (1) مرة | 10 | فَقَالَتِ النَّارُ أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ | البخاري مسلم | تفسير القرآن جنه | 1 35 36 | صحيح |
| أُوثِرُهُمْ (1) مرة | 11 | قَالَتْ لَا أُوثِرُهُمْ بِأَحَدٍ أَبَدًا | البخاري | اعتصام | 16 | صحيح |
| يُوثِرُ (1) مرة | 12 | وَلَمْ يُوثِرْ وَدَّهْ عَلَيْهَا | أبا داود | أدب | 121 | ضعيف |
| فَلْيُوثِرْ (1) مرة | 13 | فَلْيُوثِرْ بِمَا لَهُ عَصَبَتُهُ | مسلم | فرائض | 16 | صحيح |
| يُوثِرُوهُ (1) مرة | 14 | وَرَجَا إِذَا جَاءَ أَهْلُهَا أَنْ يُوثِرُوهُ بِهَا | النسائي | طلاق | 56 | صحيح |
| فَلَا تُوثِرُهُ (1) مرة | 15 | كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي فَلَا تُوثِرْتَهُ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي | البخاري | جناز فضائل الصحابة | 96 8 | صحيح |
| إِيثَار (1) مرة | 16 | إِيثَارِ النَّبِيِّ أَهْلِ الصِّفَةِ وَالْأَرَامِلِ | البخاري | خمس | 6 | صحيح |

| الحكم على الأحاديث | رقم الباب | الكتاب | مكان ورودها في الكتب الستة | الشاهد | الرقم | المفردة وعدد مرات ورودها |
|--------------------|--|---|--|--|-------|--------------------------|
| صحيح | 5 1 2 14 3 49 35 19 | اعتصام خمس نفقات مغازي فرائض جهاد جهاد إمارة | البخاري مسلم أبا داود | ولا استأثر بها عليكم | 17 | استأثر (1) |
| ضعيف | 27 | سنّة | أبا داود | كيف أنت وأئمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء | 18 | يستأثرون (1) مرة |
| صحيح | 8 | مناقب الأنصار | البخاري | فإنه سيصيبكم أثره بعدي | 19 | أثره |
| صحيح | 15، 48 2 14، 15 19 4 25 8 56 132 139 4 | إمارة فتن مساقاة خمس جزية مناقب مناقب الأنصار مغازي زكاة فتن قضاة | مسلم البخاري مسلم الترمذي الترمذي النسائي | إنكم سترون بعدي أثره | 20 | (مرتان) |

| | | | | | | |
|---------|----|-----------------------|----------|-------|--------|------|
| أثرة | 21 | في منشطنا ومكرهنا.... | البخاري | فتن | 2 | صحيح |
| (1) مرة | | وأثرة علينا | مسلم | إمارة | 34، 41 | |
| | | | النسائي | بيعة | 3/ 5 | |
| | | | ابن ماجة | جهاد | 41 | |

المطلب الثاني: الملاحظات العامة لورود مادة (أ ث ر) في السنة النبوية.

1. إن عدد الأحاديث التي أوردت مادة (أ ث ر) بالمد والقصر واحد وعشرون حديثاً.
2. عدد مرات ورود مادة (أ ث ر) في السنة النبوية أربع وعشرون موضعاً، منها تسعة عشر بالقصر، وخمسة مواضع بالمد وهي (أثر، فآثر، وآثرنا، لآثرت، إيثار).
3. إن أكثر الأحاديث التي أوردت مادة (أ ث ر) هي أحاديث في البخاري ومسلم حيث وردت مشتقات هذا المصطلح في ستة عشر حديثاً، وخمسة أحاديث في الكتب الأخرى ضعيفة .
4. إن ورود هذا العدد من الأحاديث التي تتحدث عن موضوع الإيثار في السنة النبوية يشير إلى أهمية توطين هذا الخلق العظيم في نفوس المؤمنين وخاصة في وقتنا الحاضر لأننا بأمس الحاجة لهذا الخلق.
5. إن ألفاظ الإيثار في السنة النبوية تحمل نفس المعاني في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني، فقد جاء الإيثار بين التفضيل، والاختيار، والتخصيص.
6. إن أكثر الناس إيثاراً لدنياهم الكافرون والمحبون لهذه الدنيا، وأكثر الناس إيثاراً للآخرة هم الصحابة ومن سار على منهجهم.

المطلب الثالث: معنى مادة (أ ث ر) في السنة النبوية:

وردت على معنى التفضيل والاختيار والتخصيص، ومن الأحاديث النبوية الدالة على هذا

المعنى:

1. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، أَثَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْقُرْبَى فَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُذِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدُ بِهَا وَجَةَ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لِأَخْبِرَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: "فَمَنْ يَـعْـذِلُ إِذَا لَمْ يَـعْـدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أَذَى بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبِرْ"⁽¹⁾. قوله: (أثر النبي صلى الله عليه وسلم أناسا في القسمة) أي اختصهم، وفضلهم على غيرهم بالزيادة⁽²⁾.

2. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَالِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أَعَدُّ بِكَ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَنَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِي وَبِزَوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا"⁽³⁾.

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفه قلوبهم، حديث (3150)، (95/4).

(2) ابن حجر، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ): فتح الباري، شرح صحيح البخاري، 13 مج، دار المعرفة-بيروت، (ط 1379)، (75/1). العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين (ت855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 25 مج، دار إحياء التراث العربي-بيروت بلا طبعه، بلا تاريخ نشر (73/15).

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: وتقول هل من مزيد، ق30، حديث (4850)، (138/6)، مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (2846)، (2186/4-2187).

ففي قوله عليه الصلاة والسلام: "فقالَت النارُ أوثِرُتُ، بصيغة المجهول من الإيثار أي
أَخْرُتُ"⁽¹⁾، أي خصصت بأهل التكبر على عباد الله والتجبر والظلم للناس باحتقارهم، وغمط
حقوقهم"⁽²⁾.

3. عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ
يُقَطَعَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ⁽³⁾، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: حَتَّى تَقْتَطَعَ لِإِخْوَانِنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَ الَّذِي تُقَطَعُ لَنَا،
قَالَ: "سَتَرُونَ بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي"⁽⁴⁾.

قوله: "أثرة بفتح الهمزة والناء المثناة: الاستئثار في الحظوظ الدنيوية والاختيار لنفسه
والاختصاص بها"⁽⁵⁾، "وهي الاستئثار بالمشترك أي يستأثر عليكم ويُفضل عليكم غيركم بغير
حق"⁽⁶⁾.

(1) القاري، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن، نور الدين الملا الهروي (ت 1014هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة
المصابيح، 9 مج، دار الفكر، بيروت- لبنان. ط1، (1422 هـ - 2002 م)، (3628/9).

(2) الغنيمات، عبدالله بن محمد، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، 2 مج، مكتبة الدار، المدينة المنورة، (ط1-
1405هـ)، (191/2).

(3) يقطع من البحرين، يخصص لهم جزءاً من المال الذي يجبي منها، وقيل: الظاهر أنه أراد أن يقطع لهم من أرضها. ابن
حجر، فتح الباري، (48/5).

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب القطائع، (2376)، (114/3).

(5) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (177/24).

(6) السيوطي، جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، 6 مج، تحقيق: أبو
اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الخبر، ط1، (1416هـ - 1996 م)،
(147/3).

الفصل الثالث

أنواع الإيثار وصوره في القرآن الكريم والسنة النبوية

المبحث الأول: إيثار الدنيا على الآخرة

المبحث الثاني: إيثار الإيمان على الكفر

المبحث الثالث: إيثار الكفر على الإيمان

المبحث الرابع: إيثار الله عز وجل للصالحين في الأرض

المبحث الخامس: إيثار الغير على النفس

المبحث الأول

إيثار الدنيا على الآخرة

"إن إيثار الحياة الدنيا هو أساس كل بلوى. فعن هذا الإيثار ينشأ الإعراض عن الذكرى لأنها تقتضيهم أن يحسبوا حساب الآخرة ويؤثروها وهم يريدون الدنيا ويؤثروها، وتسميتها (الدنيا) لا تجيء مصادفة، فهي الواطية الهابطة إلى جانب أنها الدانية العاجلة ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾⁽¹⁾، خير في نوعها، وأبقى في أمدها"⁽²⁾.

قال الغزالي: "فإن إيثار الحياة الدنيا طبعٌ غالبٌ على الإنسان، ولذلك قال الله تعالى: ﴿تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾⁽³⁾ ثم بين أن الشر قديمٌ في الطباع وأن ذلك مذكورٌ في الكتب السالفة فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾⁽⁴⁾ ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾⁽⁵⁾.

وقد تناولت هذا المبحث من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: أسباب إيثار الدنيا على الآخرة

عَنْ عَرْفَجَةَ النَّقْفِيِّ قَالَ: "اسْتَفْرَأْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فَلَمَّا بَلَغَ بَلُّ تُوْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا تَرَكَ الْقِرَاءَةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَنْزَنَا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: أَنْزَنَا الدُّنْيَا لِأَنَّا رَأَيْنَا زِينَتَهَا وَنِسَاءَهَا وَطَعَامَهَا وَشَرَابَهَا، وَزُوبَيْتَ عَنَا الْآخِرَةَ فَأَخْتَرْنَا هَذَا الْعَاجِلَ وَتَرَكْنَا الْآجِلَ، وَقَالَ: بَلُّ يُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْيَأِ"⁽⁶⁾.

ونستنتج من هذا الحديث الشريف أن أسباب إيثار الدنيا على الآخرة هي:

(1) سورة الأعلى: 17.

(2) قطب، سيد، إبراهيم حسين الشاذلي (ت1385هـ)، في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت- القاهرة، (17-1412)، (3894/6).

(3) سورة الأعلى: 16.

(4) سورة الأعلى: 18، 19.

(5) الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد (ت505هـ)، إحياء علوم الدين، 4 مج، دار المعرفة- بيروت، (79/3).

(6) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، (ت1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، الكلم الطيب- دمشق، بيروت، (ط1-1414هـ)، (519/5).

السبب الأول: حب الدنيا والجهل بحقيقتها:

أما السبب الأول من أسباب إيثار الدنيا على الآخرة هو حب الدنيا والجهل بحقيقتها، والله تعالى خلق الإنسان، ليقوم بعمارة الأرض وفق شرع الله ومنهجه، وعبادة الله تعالى، لكن حبه للدنيا وتفضيله لها على الآخرة لما فيها من أموال وشهوات وزخارف وزينة وغير ذلك، جعله ينشغل بها ويترك ما كلف به، لذا نجد القرآن الكريم قد بين لنا بأنه يجب علينا فهم الدنيا فهما صحيحاً وذلك عن طريق العمل للآخرة وعدم الإعراض عنه لأننا مكلفون بعمارته، وحذر من إيثارها على الآخرة لأن الدنيا فانية والآخرة باقية قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾﴾ (1).

"أخبر تعالى الناس أنهم يُؤثرون الحياة الدنيا، وسبب الإيثار حُبُّ العاجل والجهل ببقاء الآخرة وفضلها. روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "استحبوا من الله حقَّ الحياء، قال: فقلنا: يا رسول الله، إنا نستحي والحمد لله، قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حقَّ الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعي، وتحفظ البطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحي من الله حقَّ الحياء" (2)(3).

وقال تعالى في وصف الذين يؤثرون الدنيا: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ (4) وهذا يدل على كونهم في نهاية المحبة للحياة الدنيوية، ولا يكون الإنسان كذلك إلا إذا كان غافلاً عن الحياة الآخروية، وعن معاييب هذه الحياة العاجلة، ومن كان كذلك كان في نهاية الصفات المذمومة، وذلك لأن هذه الحياة موصوفة بأنواع كثيرة من العيوب. فأحدها: أن بسبب هذه الحياة انفتحت أبواب الآلام والأسقام والغموم والهموم والمخاوف والأحزان. وثانيها: أن هذه اللذات في الحقيقة لا حاصل لها إلا دفع الآلام بخلاف اللذات الروحانية فإنها في أنفسها لذات وسعادات. وثالثها: أن سعادات هذه الحياة منغصة بسبب الإنقطاع والإنقراض والإنقضاء. ورابعها: أنها حقيرة

(1) سورة الأعلى: 16.

(2) الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، (ت279هـ)، سنن الترمذي، 5م، تحقيق: أحمد شاكر، وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط2، (1395هـ - 1975م)، أبواب صفة القيامة والرفائق والورع، باب، حديث (2458)، (637/4)، قال الألباني: حسن.

(3) الثعالبي، أبو زيد، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف (ت875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1- 1418هـ)، (580/5).

(4) سورة إبراهيم: 3.

قليلة، وبالجملة فلا يحب هذه الحياة إلا من كان غافلاً عن معانيها وكان غافلاً عن فضائل الحياة الروحانية الأخروية، ولذلك قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (1)«(2)

"ومثل هذه الحياة الدنيا وزهرتها والاعتزاز بها بحالة زهرة الربيع، تعجب الناظرين، وتعز الجاهلين، ويظنون بقاءها، ولا يؤمنون زوالها، فلهوا بها عما خلّقوا له، فأصبحت زائلة وأصبحوا لنعيمها مفارقين في أسرع وقت بهذا الربيع إذا أصبح بعد الإخضرار هشيماً، وبعد الحياة يبساً رميمًا. وهذا الوصف قد شاهده الخلق واعترف به البر والفاجر، ولكن سكر الشهوات وضعف الإيمان اقتضى إثارة العاجل على الآجل" (3).

وقد جاءت آيات قرآنية دالة على الجهل بحقيقة الدنيا : كقوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمْ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (4) أي: الحياة الدائمة. وعن مالك بن دينار قوله: لو كانت الدنيا من ذهب يَفنى، والآخرة من خَرْفٍ يَبقى، لكان الواجب أن يُؤثّر خَرْفٌ يَبقى على ذهبٍ يَفنى، فكيف والآخرة من ذهبٍ يَبقى والدنيا من خَرْفٍ يَفنى (5).

ومنها قوله تعالى: ﴿زِينِ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ قُلْ أُوذِيكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (6).

(1) سورة الأعلى: 17.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، (60/19-61).

(3) السعدي، أبو عبدالله، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد (ت 1376هـ)، القواعد الحسان لتفسير القرآن، مكتبة الرشيد- الرياض، ط1، (1420هـ - 1999م)، (69/1).

(4) سورة العنكبوت: 64.

(5) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني (ت 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت- لبنان، (1415هـ - 1915م)، (504/8).

(6) سورة آل عمران: 14، 15.

يعقب الشيخ السعدي على هاتين الآيتين فيقول: "أخبر تعالى في هاتين الآيتين، عن حالة الناس في إثارة الدنيا عن الآخرة، وبين التفاوت العظيم، والفرق الجسيم بين الدارين، فأخبر أن الناس زينوا لهم هذه الأمور، فرمقوها بالأبصار، واستحلوها بالقلوب، وعكفت على لذاتها النفوس، كل طائفة من الناس تميل إلى نوع من هذه الأنواع، قد جعلوها هي أكبر همهم، ومبلغ علمهم وهي مع هذا - متاع قليل، منقوض في مدة يسيرة"⁽¹⁾.

وتتوالى الآيات القرآنية التي تبين منزلة الحياة وتظهرها على حقيقتها التي يجب على الإنسان أن يؤمن بها إيماناً يتمثل في سلوكه وأخلاقه.

وفي السياق ذاته، ثمة الكثير من الأحاديث النبوية التي توضح حقيقة الدنيا ومنزلتها، ومن هذه الأحاديث:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ"⁽²⁾، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلَفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النَّسَاءِ"⁽³⁾.

أخبر صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بحال الدنيا وما هي عليه من الوصف الذي يروق الناظرين والزائفين، ثم أخبر أن الله جعلها محنة وابتلاء للعباد، ثم بين الأسباب التي تمنع الإنسان من الوقوع في فتنها. فأخبره بأنها حلوة صفة عامة للدنيا وما فيها، فمن استخدمها

(1) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله (ت 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط1، (1420هـ - 2000م)، (963/1).

(2) خضرة: أي طيبة مزينة في عيونكم وقلوبكم، وإنما وصفها بالخضرة لأن العرب تسمي الشيء الناعم خضراً، أو لتشبيهها بالخضراوات في سرعة زوالها. القاري، (2044/5)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 9مج، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط1، (1422هـ - 2002م)، (2044/5).

(3) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، 626 حديث، (2742)، (2098/4).

ووضعها في حقها، واستعان بها للقيام بعبودية الله، تحققت له السعادة الدنيوية والأخروية، ومن جعلها أكبر همه وغايته، أودت به إلى الشقاء والأحزان⁽¹⁾.

وعن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تُعَادِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ"⁽²⁾. وهذا الحديث مثل لغاية القلة والحقارة، والمعنى أنه لو كان للدنيا أدنى قدر، ما سقى من مائها كافراً شربة ماء⁽³⁾.

السبب الثاني: قسوة القلب وطول الأمل.

أما السبب الثاني فيرى ابن القيم أن سبب إيثار الإنسان للدنيا على الآخرة "إضاعتان، هما أصل كل إضاعة. إضاعة القلب وإضاعة الوقت، وإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل. فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء"⁽⁴⁾.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَنسِئُوا ﴿٥﴾ . تدل هذه الآية على أن طول الأمل وقسوة القلب والتسويق، أمور تؤدي إلى الغفلة، وإيثار الدنيا على الآخرة⁽⁶⁾. "والآية الكريمة تشير إلى أن الإهمال لذكر الله والاسترسال بالشهوات على ذلك يؤدي

(1) آل سعدي، أبو عبدالله، عبدالرحمن بن عبدالله بن ناصر بن حمد (ت 1376هـ)، بهجة قلوب الأبرار وقوة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخيار، تحقيق: عبدالكريم بن رسمي آل الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط1، (1422هـ-2002م)، (1/177).

(2) الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، حديث (2320)، (4/560)، قال الألباني، صحيح.

(3) القاري، مرقاة المفاتيح، (8/3241).

(4) ابن قيم الجوزية، شمس الدين، محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد، (ت 751هـ)، الفوائد، دار الكتب العلمية-بيروت، ط2، (1393هـ - 1973م)، (1/157).

(5) سورة الحديد: 16.

(6) الشنقيطي، أضواء البيان، (505-506).

إلى قسوة القلب، وإلى القسوة عن أمر الله تعالى⁽¹⁾ وقال صلى الله عليه وسلم في ذم الأمل "يَهْرُمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشْبُ. وتشب منه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العمر"⁽²⁾. والمعنى: يكبر ابن آدم ويبقى معه خصلتان اثنتان، وتستحكم الخصلتان في قلب الشيخ كاستحكام قوة الشباب في شبابه وهما الحرص على المال والجاه وطول الأمل⁽³⁾، وقال علي رضي الله عنه "فسبب طول الأمل ثقل الطاعة وتأخر التوبة وتكثر المعصية ويشد الحرص ويقسو القلب"⁽⁴⁾.

ومن شعر بالقسوة فعلية ذكر الله كما في قوله عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾⁽⁵⁾، فإحياء القلوب القاسية يكون بالذكر والتلاوة كإحياء الأرض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة⁽⁶⁾، لذلك "فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزله الله، وتتألق بالحكمة، فلا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين"⁽⁷⁾ وعليه الحث على الطاعات كالصلاة والصوم وغيرها والترهيب من الذنوب والمسارة إلى التوبة لأنها: "تصقل القلب وتجليه ممّا عرض له من رين الذنوب، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ تَكْتَبُ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً سَوْدَاءُ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صَقَلَ فِي قَلْبِهِ وَإِنْ عَادَ زِيدَ

(1) طنطاوي، محمد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة - مصر - الفجالة - القاهرة، (ط1 - 1998)، (214/14).

(2) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب كراهة الحرص على الدنيا، حديث (1047)، (724/2).

(3) زين العابدين، زين الدين محمد المدعو بعبدرؤوف بن تاج العارفين بن علي (ت 1031هـ)، التفسير بشرح الجامع الصغير، 2مج، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط3، (1408هـ - 1988م)، (504/2).

(4) الهندي، زين الدين بن عبدالعزيز، (ت 1987هـ)، الاستعداد للموت وسؤال القبر، تحقيق: أبو النذر سعد كرم الدرعي، دار ابن خلدون، اسكندرية، ص16.

(5) سورة الحديد: 17.

(6) أنظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني (ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع

المثاني، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت (ط1 - 1415هـ)، (181/14).

(7) السعدي، تيسر الكريم الرحمن، ص840.

فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ" (1) " (2).

ولكن التعلق بالدنيا يوقع الإنسان في طول الأمل والغفلة عن تقدير الموت، وعليه وعظنا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "اغتمتَ حَمْسًا قَبْلَ حَمْسِ شَبَابِكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ وَقَرَاغِكَ قَبْلَ شُعْغِكَ وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ" (3)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ" (4)، فمن الأفضل للإنسان أن يذكر نفسه دائماً بالموت، ليخفف من شدة أمله بطول البقاء، حتى لا يفسد نفسه طول الأمل وفي الوصية بهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أكثرُوا ذكرَ هادمِ اللذاتِ" (5).

والذي تراه الباحثة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن علاج قسوة القلب وطول الأمل يكون بذكر الله أو تلاوة القرآن، وتذكر الموت الذي يهدم لذات الإنسان ويجعله يشعر بأن الحياة الدنيا دار ممر، والحياة الأخرى دار مستقر، وأنه إذا تم علاج طول الأمل أدى إلى علاج قسوة القلب.

(1) الترمذي، سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة ويل للمطففين، حديث (3334)، (434/5). قال الألباني: حسن.

(2) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم، (ت 728هـ)، جامع الرسائل، 2 مج، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط1، (1422هـ - 2001)، (237/1).

(3) النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت 307هـ)، السنن الكبرى، 2 مج، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (1421هـ - 2001م)، كتاب المواعظ، باب الواعظ، حديث (11832)، (400/10)، قال الألباني، رواه الحاكم وقال صحيح على شرطها، الألباني، محمد ناصر الدين (ت 1420هـ)، صحيح الترغيب والترهيب، 3م، مكتبة المعارف - الرياض، ط5، (168/3).

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"، حديث (6416)، (89/8).

(5) ابن ماجه، أبو عبدالله، محمد بن يزيد القزويني، (ت 273هـ)، سنن ابن ماجه، 2 مج، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، كتاب الزهد، باب 31 ذكر الموت والاستعداد، حديث (4258)، (1422/2)، قال الألباني، حسن صحيح.

السبب الثالث: الطغيان.

أما السبب الثالث من أسباب إيثار الدنيا على الآخرة، الطغيان ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ۖ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۖ ﴿١﴾ .

"الطغيان مجازوة الحد في العصيان"⁽²⁾، "وهي عامة في كل كافرٍ آثر الدنيا على الآخرة"⁽³⁾، "والطغيان هنا... وصف لكل من يتجاوز الحق والهدى، ومداه أوسع من الطغاة ذوي السلطان والجبروت، حيث يشمل كل متجاوز للهدى، وكل من آثر الحياة الدنيا، واختارها على الآخرة فعمل لها وحدها، غير حاسب للآخرة حساباً. واعتبار الآخرة هو الذي يقيم الموازين في يد الإنسان وضميره، فإذا أهمل حساب الآخرة أو آثر عليها الدنيا اختلت كل الموازين في يده، واختلت كل القيم في تقديره، واختلت كل قواعد الشعور والسلوك في حياته، وعد طاغياً وباغياً ومتجاوزاً للمدى"⁽⁴⁾.

والسبب في أنه "قدم ذكر الطغيان على إيثار الحياة الدنيا، لأن الطغيان من أكبر أسباب إيثار الحياة الدنيا فلما كان مسبباً عنه ذكر عقبه مراعاة للترتيب الطبيعي، ويُفهم من فعل الإيثار أن معه نبذاً لنعيم الآخرة، ويرجع إيثار الحياة الدنيا إلى إرضاء هوى النفس، وإنما يعرف كلا الحظين بالتوقيف الإلهي كما عرف الشرك وتكذيب الرسل والاعتداء على الناس والبطر والصلف وما يستتبعه ذلك من الأحوال الذميمة. وملاك هذا الإيثار هو الطغيان على أمر الله، فإن سادتهم ومُسَيِّرِيهم يعلمون أن ما يدعوهم إليه الرسول هو الحق ولكنهم يكرهون متابعتة استكباراً عن أن يكونوا تبعاً للغير فتضيع سيادتهم"⁽⁵⁾.

(1) سورة النازعات: 37-39.

(2) الجرجاني، التعريفات، (ص141).

(3) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير من غالب الأملي (ن 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، 4مج، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، (1420هـ-2000م)، (308/1).

(4) قطب، في ظلال القرآن، (6/3818).

(5) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، (ت 1393هـ)، التحرير والتنوير، 30مج، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ، (91/30-92).

وأما سبب الطغيان فيوضحه قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴿١﴾،
 "أي أن الإنسان يتجاوز حدود العقل والعدل ويطغى إذا رأى نفسه قد استغنى، ثم أراد الله أن يرد
 تلك النفوس عن طغيانها ويخفف من جبروتها فأخذ يذكر الإنسان بضعفه وحاجته ليعلم أنه وأهم
 في طغيانه: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٢﴾﴾، أي أن المرجع إلى الله وحده دون غيره. ويبين الله أن كثرة
 الرزق تحمل الناس على البغي والطغيان لذلك فهو يرزقهم حسب مشيئته وهو أعلم بحالهم. ﴿وَلَوْ
 بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن مَّا نُنزِّلُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ (4)،
 وأن النفس الإنسانية بطبيعتها تحب المال وتسعى من أجله قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا
 جَمًّا ﴿٥﴾﴾، وهذا الحب يؤدي إلى الغرور والطغيان وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه
 الفتنة الخطيرة التي تلهي الإنسان عن العمل للأخرة فيكون عبداً لها مسيطرة عليه فيحل به الهلاك،
 فقال صلى الله عليه وسلم: "قوالله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم أن تفتح عليكم الدنيا،
 فتتافسوها كما تتافسها من قبلكم، فتهلككم كما أهلكتهم" (6)، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا
 تُلَهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧﴾﴾.
 فالمال ابتلاء وبلوى تحتاج إلى صبر على أداء ما يجب فيه، وإلى شكر ما يجب له (8).
 وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من التتافس في الدنيا والطمأنينة إلى زخرفها الفاني فإن الفتنة
 بالدنيا مقرونة بالغنى الذي يؤدي إلى هلاك النفس غالباً (9).

(1) سورة العلق: 6-7.

(2) سورة العلق: 8.

(3) سورة الشورى: 27.

(4) طباره، عفيف عبدالفتاح، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط2، (1394هـ - 1974م)،
 (171/1).

(5) الفجر: 20

(6) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، حديث (3158)، (96/4).

(7) سورة المنافقون: 9.

(8) العثميين، محمد بن صالح ب محمد، (ت 1421هـ)، شرح رياض الصالحين، 6مج، دار الوطن، الرياض، (1426هـ)،
 (129/2).

(9) ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالمك، (449هـ)، شرح صحيح البخاري لابن بطال، 10 مج، تحقيق: أبو
 تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، (1423هـ - 2003م)، (1155/10).

ومن الأمثلة التي عني القرآن بذكرها قصة قارون الذي ضرب الله به المثل في الغنى، فغره ماله وأطغاه، وبغى على قومه ونسي فضل ربه فكانت عاقبته الهلاك، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَأَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ (1).

"والحق تبارك وتعالى-، يجعل من قارون عبرة لكل من لا يؤمن بالآخرة ليخاف من عذاب الله ويحذر عقابه، والعبرة هنا بمن؟ بقارون رأس من رؤوس القوم، وأغنى أغنيائهم، والفتوة فيهم، فحين يأخذه الله يكون في أخذه عبرة لمن دونه(2).

ويقول فضل عباس: "لقد تكبر قارون بعد أن أنعم الله عليه بالثراء، وكثيرون أولئك الذين لم يشكروا النعم فتزيدهم طغياناً، يحدثنا القرآن أن الله تبارك وتعالى أعطى قارون من الكنوز ما يتقل العصبة القوية مفاتها أي العصبة القوية تنوء بحمل مفاتيح هذه الكنوز، وبطر قارون وحاول قومه وذووه وكأنهم لا يزالون يظنون به خيراً، حاولوا إرشاده وإصلاح أمره (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) وليطلب بما منحه الله من هذه النعم الدار الآخرة ولكن ليصلح دنياه كذلك، وليحسن فيما أنعم الله عليه ولا ينبغي أن يتكبر ويعيث في الأرض فساداً، فالله الذي لا يحب الفرحين لا يحب الفساد كذلك"(3)

ولكنه استمر في طغيانه ورفض السماع لنصيحة قومه، وقال في ماله ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (4)، قال الطبري: يقول جل ذكره "قال قارون لقومه الذين وعظوه: إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي علمه الله من فرضي بذلك عني، وفضلني بهذا المال عليكم لعمله بفضلي عليكم"(5) والظاهر أنه جمعه بما لديه من نكاه وخبرة في شؤون التجارة دون الخوف من

(1) سورة القصص: 76-77.

(2) الشعراوي، محمد متولي (1418هـ)، تفسير الشعراوي، الخواطر، 20 ج، مطابع أخبار اليوم، (18/11009).

(3) عباس، فضل حسن، القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، عمان-الأردن، ط، 1407-1987م، ص416.

(4) سورة القصص: 78.

(5) الطبري، تفسير القرآن، (10/107).

الله تعالى ونسي عقوبة الله بالمتجبرين والمتكبرين واهلاك من هم أكثر منه مالا وقوة. فكان عاقبة جحوده وطغيانه أن خسف الله به وبداره الأرض دون أن يجد من ينصره ويحميه⁽¹⁾.

مما سبق ندرك أن كثرة المال والجاه من غير إيمان حقيقي في النفوس، يؤدي إلى الطغيان والتجبر ولا يحد من ذلك إلا تقوى الله وصدق الإيمان قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ أَلْمُورِ﴾⁽²⁾، فالملاحظ من هذه الآية أنه من أهم وسائل معالجة الطغيان القيام بالعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، والالتزام بالأخلاق الإسلامية والاستقامة على الدين والتزام بالعقيدة، كما قال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾⁽³⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾⁽⁴⁾، فالملاحظ من هاتين الآيتين أن الاستقامة ضد الطغيان فمن استقام في عقيدته كانت له الجنة، "ما أشد حاجة الناس إلى قوة تسند ظهره، وتشد أزره، وتأخذ بيده، وتزيل العقبات، وتقهر أمر الصعاب، وتثير له الطريق وليس هذه القوة المنشورة إلا في ظلال العقيدة، ورحاب الإيمان بالله تعالى الذي يمدنا بروح القوة، وقوة الروح، فالمؤمن لا يرجوا إلا فضل الله، ولا يخشى إلا عذاب الله، ولا يبالي بشيء في جنب الله، وإن لم يكن في يديه سلاح وهذه القوة في الفرد مصدر لقوة المجتمع كله، وما أسعد المجتمع بالأقوياء الراسخين من أبنائه وما أشقاه بالضعفاء المهازيل الذين لا ينصرون صديقاً، ولا يخيفون عدواً، ولا تقوم بهم نهضة أو ترتفع بهم راية"⁽⁵⁾.

(1) أنظر: الزحيلي، التفسير المنير، (159/30).

(2) سورة الحج: 41.

(3) سورة هود: 112.

(4) سورة فصلت: 30.

(5) القرضاوي، الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط4، (1399هـ-1939هـ)، ص267.

لذا كانت العقيدة الإسلامية وما زالت قوة الأمة الإسلامية، وهي الوسيلة القوية المستخدمة لمواجهة الطغيان وهذا ما أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال لابن عباس: "يا عَلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"⁽¹⁾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا بأس بالغنى لمن اتَّقَى"⁽²⁾ فالغنى بغير تقوى يؤدي إلى الهلاك، أما إذا كان صاحبه تقياً فقد ذهب البأس وجاء بالخير⁽³⁾. "فعلاج الشهوات القناعة باليسير وبالصبر"⁽⁴⁾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما قلَّ وكَفَىٰ خَيْرٌ مِّمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى"⁽⁵⁾.

والذي نشاهده في هذه الأيام، سيطرة طغيان المال على العقول والقلوب والنفوس، كما ونلاحظ هذا في تعدي الأفراد على الشركات والبنوك، وأصبحت الدول الغربية تستعمر الدول النامية اقتصادياً بهدف إعمار تلك الدول، ولكن هدفها الرئيس نهب خيرات تلك الدول، مما عرض أهالي تلك الدول للذل والاستعباد فأصبحوا عبيداً في دولهم.

فالأمة الإسلامية في هذا العصر بأمر الحاجة إلى العقيدة الإسلامية، حتى تستطيع مواجهة الطغيان، لهذا أمر الله المسلمين بإعداد العدة لهم، فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا

(1) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، (2516)، (667/4)، صححه الألباني.

(2) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب، حديث (2141)، (724/2)، قال الألباني: صحيح.

(3) المناوي، زين الدين محمد، عبدالرؤف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، (ت 1031هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، 6 مج، المكتبة التجارية الكبرى، مصر (ط 11-1356هـ)، (328/5).

(4) الصنعاني، أبو إبراهيم، محمد بن اسماعيل بن صلاح بن محمد الحسيني (ت 1182هـ) سبيل السلام، 2مج، دار الحديث، بلا طبعة، بلا تاريخ، (659/2).

(5) الطيالسي، أبو داود، سليمان بن الجارود (ت 204هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، 4مج، تحقيق: الدكتور محمد بن عبدالمحسن التركي، دار هجر - مصر، ط 1، 1419هـ - 1999م. مسند أبي داود الطيالسي، باب وأحاديث أبي الدرداني حديث (1072)، (323/2)، قال الألباني: صحيح.

أَسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ ﴿١﴾ وعلى الأمة الإسلامية اللجوء إلى الله تعالى والاستعانة به لرفع الضرر والظلم فالدعاء يزيد من صلة الإنسان بالله تعالى ويدفعه إلى الصبر على المصائب، قال تعالى: ﴿أَمَّن يَحِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ ﴿٢﴾.

ومن أهم وسائل معالجة الطغيان استخدام الكلمة الطيبة وذلك إذا كان لها أثراً في نفس الطاغية، وقد أمر الله سبحانه وتعالى سيدنا موسى وهارون باستخدامها في دعوة فرعون إلى الإيمان قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ﴿٣﴾ وهناك وسيلة أخرى لا تقل أهمية عن هذه الوسيلة وهي التحذير من عاقبة الطغيان بحلول غضب الله على الطاغية فقال تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ ﴿٤﴾، لذا علينا أن نستخدم جميع الوسائل من أجل التخلص من الطغيان والظلمة.

كما وعلينا دائماً تذكر أنفسنا وأخذ العظة والعبرة مما حدث في قصص الأمم الغابرة وقصة قارون، حيث أنه لم يتأدب مع الله فوق الأرض سيؤدبه تحت الأرض ويوم العرض. فالمال هبة ونعمة من الله لا ينبغي التباهي والغرور بها، فمن اعتز بغير الله ذل، والله قادر على إهلاكه، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مَنَ الْقُرُونِ مِن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٥﴾. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٦﴾ فالملاحظ من الآيات أن كل من تجبر وطغى بما له وجاهه وجد نعم الله فمصيره الهلاك مثل قارون.

(١) سورة الأنفال: 60.

(٢) سورة النمل: 62.

(٣) سورة طه: 44.

(٤) سورة طه: 81.

(٥) سورة القصص: 78.

(٦) سورة يوسف: 111.

المطلب الثاني: علاج إيثار الدنيا على الآخرة.

يبين لنا القرآن الكريم والسنة النبوية أن تعلق الإنسان بالدنيا وإيثارها على الآخرة، أمر يمكن معالجته من خلال عدة أمور أهمها:

الأول: العلم بحقيقة الدنيا والآخرة

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَسَجَبَ أَكْفَارًا نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿١﴾، والقصد من هذه الآية كما يرى الرازي هو "تحقير حال الدنيا وتعظيم حال الآخرة، وأنها لعب ولهو وزينة وتفاخر، وهي أمور محقرة، وأما الآخرة فهي إما عذاب دائم أو نعيم دائم"⁽²⁾. وسبب تحقير هذه الأمور "أنها أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لأنها لعب يتعب الناس في أنفسهم جداً إتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة، ولهو يلهون به أنفسهم عما بمخايلهم وزينة كالملابس الحسنة والمواكب البهية، والمنازل الرفيعة وتفاخر بالأنساب وتكاثر بالعدد والعدة"⁽³⁾.

"وعندما نظر الإسلام إليها من هذه الزاوية وبهذا الاعتبار ذمها وذم المنهمكين فيها، لأنها حياة عارضة زائلة، وفيها أحزان وآلام ومشقة، فهي بهذه النظرة لا تساوي شيئاً ولا جناح بعوضة، بالنسبة إلى حياة مقدره لإنسان بعد موته، ولهذا قال الرسول: "لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ"⁽⁴⁾، حقاً إنها لا تساوي جناح بعوضة حين نقيسها بالحياة الأخروية، ومن هنا يستحق الذم هؤلاء الذين يتخذونها مجمع همهم ومبلغ سعيهم فلا يرجون الآخرة

(1) سورة الحديد: 20.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، (463/29).

(3) البيضاوي، ناصر الدين بن عبد الله بن عمر بن محمد (ت 685 هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1 - 1418 هـ)، (189/5).

(4) الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، حديث (2320)، (560/4)، قال الألباني: صحيح.

من بعدها، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (1) (2).

قال الرازي: "إنما قال: يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة لأن فيه إضماراً، والتقدير: يستحبون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة، فهذه المحبة هي المحبة المذمومة" (3).

وقد جاءت أحاديث نبوية شريفة تذم الحياة الدنيا وتحقرها منها ما جاء عن سهيل، قال: جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نحفر الخندق، وننقل التراب على أكتادنا (4). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فأغفر للمهاجرين والأنصار" (5).

فإنه نبه بذلك أمته على تصغير شأن الدنيا وتقليل مكانتها، وسرعة انقضائها، وإذا كانت الدنيا هكذا فلا معنى للاشتغال بها بالنسبة للعيش في الآخرة ونعيمها (6).

وعن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ" (7).

مثل لغاية القلة والحقارة، أي لو كان للدنيا أدنى قدر ما متع الكافر منها أدنى تمتع، هذا أوضح دليل وأعدل شاهد على حقارة الدنيا (8)

"وكل الآيات والأحاديث التي تذم الحياة المادية وأهلها، إنما تذمها لهذا الاعتبار، ومن هذه الزاوية يريد الإسلام بذلك أن يبين للناس أنه ينبغي ألا تتخذ هذه الحياة غاية في ذاتها، لأنه أمر لا

(1) سورة إبراهيم: 3.

(2) يالجن، علي مقداد، محمد، علم الأخلاق الإسلامية، دار عالم الكتب - الرياض، ط1، (1424هـ - 2003م)، (77/1).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، (60/19-61).

(4) أكتادنا: وهو ما بين الكاهل إلى الظهر، ابن حجر، فتح الباري، (119/7).

(5) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "أصلح الأنصار، والمهاجرة، حديث (3797)، (34/5).

(6) ابن بطل، شرح صحيح البخاري، (148/10).

(7) الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، حديث (2320)، (560/4)، قال الألباني: صحيح.

(8) المناوي، فيض القدير، (328/5).

يليق بهم فقد خلقوا لهدف أو غاية كبرى وهي تلك الحياة الأبدية السعيدة وهذه الحياة هي الجديرة بأن يعمل المرء من أجلها، وتحقيق أن يتخذها غاية، وأما الزاوية الثانية: فهي أن هذه الحياة ما هي إلا وسيلة أخرى أو مقدمة لها، يجب استغلالها لتلك الحياة واستواؤها بها، فمن هذه الزاوية وبهذا الاعتبار نرى الإسلام يمدح الحياة ويهتم بها⁽¹⁾.

الثاني: الصبر على الشدائد.

إن من الأخلاق الإسلامية التي حث عليه ديننا العظيم الصبر، فهو قوة موجودة في النفس الإنسانية تدفعها إلى تحمل مصاعب الحياة وما فيها من طاعات وشهوات فإذا صبر عليها الإنسان كانت سبباً في دخوله الجنة وإذا لم يصبر كانت سبباً في دخوله النار فقال صلى الله عليه: "حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ"⁽²⁾ وهذا المقام تتفاوت فيه عقول الناس، وتظهر حقائق الرجال، فأكثر أهل زماننا يؤثر حلاوة الدنيا المنقطعة على حلاوة الآخرة الدائمة التي لا تزول، ولم يتحمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد ولا محنة ساعة لعافية الأبد، فإن الحاضر عنده شهادة والمنتظر غيب، والإيمان ضعيف، وسلطان الشهوة حاكماً فتولد من ذلك إيثار العاجلة ورفض الآخرة، وهذا حال أهل زماننا في تفضيلهم لأمر الدنيا على الآخرة، وعلى المسلم أن يقارن بين ما أعده الله لأولياته وأهل طاعته من النعيم المقيم، والسعادة الأبدية، وما أعد الله لأهل البطالة والإضاعة من الخزي والحشران والعذاب الدائم⁽³⁾.

"على أن مغريات الحياة الدنيا، وما يقابلها من المصائب، والشدائد التي تصيب الأفاضل المثاليين، يكيدها لهم أتباع الشياطين، لا علاج لها إلا ما يربيه القرآن في نفوسنا من "إيثار الآخرة على الدنيا"⁽⁴⁾. وقد أمر الإنسان بالصبر على الشهوات حتى لا يكون ذليلاً وضعيفاً وراء أمور

(1) يالجن، علي مقداد، علم الأخلاق الإسلامية، (77/1).

(2) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الجنة وصفة نهيها وأهلها، حديث (2822)، (4/2174).

(3) المنيجي، شمس الدين، محمد بن محمد بن محمد (785هـ)، تسلية أهل المصائب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، (1426هـ)، (16/1).

(4) أنظر: النحلوي، عبدالرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، ط25، (1428هـ- 2007م)، (84/1).

تافهة وشهوات زائلة، وأمرنا القرآن بالصبر على الطاعات حتى نواجه كيد الشيطان قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽¹⁾.

والذي تراه الباحثة من خلال الآيات والأحاديث الشريفة أن الذم في إيثار الحياة الدنيا هو متعلق بإيثارها على الآخرة، أما أخذ الإنسان بحظوظه الدنيوية دون إيثارها على الآخرة فذلك غير مذموم، فالإسلام لا يحظر الاستمتاع بالطيبات، ولكنه يدعو إلى الوسطية والاعتدال، وقال تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾⁽²⁾. قال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾⁽³⁾ وعلى الإنسان ألا يتخذ الحياة الدنيا غاية وإنما تكون وسيلة للحياة الأخروية، وذلك لأن الآخرة هي دار البقاء والدنيا هي دار الفناء، وأن يوازن بين الحياتين فلا يطغى جانب على جانب، فيستمتع بالحياة الدنيا وزينتها في حدود الشرع بشرط الإلهية عن طاعة الله تعالى.

(1) سورة آل عمران: 200.

(2) سورة القصص: 77.

(3) سورة الأعراف: 32.

المبحث الثاني

إيثار الإيمان على الكفر

بالنظر في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تناولت موضوع إيثار الإيمان على الكفر، فإننا نلاحظ الأمور التي سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول : إيثار السحرة الإيمان بالله على إتباع فرعون.

أمر الله سيدنا موسى أن يذهب إلى فرعون المنكبر الذي ادعى الألوهية، فذهب إلى فرعون بالتكاليف الإلهية قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾⁽¹⁾ والدلالة على صدق قلبي هذا المعجزات التي أيدني الله بها ولكن تحداه فرعون وقال له أرني هذه الآيات. فأراه سيدنا موسى ذلك قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾⁽²⁾ ونزع يده، فإذا هي بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ⁽²⁾، ولكن بطانة السوء اتهموه بالسحر، وتحداوا سيدنا موسى بجمع السحرة له في يوم معلوم وهو يوم الزينة، يوم خروج الناس جميعاً⁽³⁾. قال تعالى: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾⁽⁴⁾ فجاء اليوم الموعد وبدأت المباراة بينهم، فتقدم السحرة وألقوا ما بين أيديهم، فخيل لموسى أنها حيات على الأرض تسعى، ولكن خيال ووهم تسلل إلى نفسه، وخاف أن يأخذ الناس بهذا الظاهر والباطل المشبوه، فتركوا دعوته، ولكن بعد ذلك هدأت نفس سيدنا موسى، وألقى عصاه، فإذا هي تلقف ما يأفكون ويفترون، وإذا السحرة يلتمسون الحقيقة الرائعة، ويتبينون الرشد من الضلال، والحق من الباطل فإذا هم يخرون ساجدين لله رب العالمين، توبة عما صنعوا وخشية لله سبحانه وتعالى، ولكن هذه المفاجئة ملأت صدر فرعون حقداً وغضباً مما فعلوا وقال لهم

(1) سورة الأعراف: 104.

(2) سورة الأعراف: 107، 108.

(3) أنظر: الميلادي، علي حسن، كتاب أحسن القصص بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، دار الوفاء - الاسكندرية، (ط1428 - 2007م). ص 104-105، 106.

(4) سورة طه: 59.

إنه أستاذكم وكبيركم الذي علمكم السحر، فاتفقتم معه على ذلك⁽¹⁾ وتوعدهم فرعون بانتقام شديد وهو تقطيع الأيدي والأرجل من جانبيين متخالفين زيادة في التعذيب والتصليب في جذوع النخل فهي من أقوى الأخشاب وأخشنها⁽²⁾ وهنا جاء رد السحرة عليه فقالوا له مستخفين بكلامه قالوا لن نُؤثرَكَ: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْنَتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾⁽³⁾.

ويقول القاسمي: اختار هذا الوصف للإشعار بعلّة الحكم . فإن خالقيته تعالى لهم، وكون فرعون من جملة مخلوقاته، مما يوجب عدم إيثارهم له عليه سبحانه وتعالى⁽⁴⁾.

وعندما جاءهم سيدنا موسى بالبينات "فقد اكتشفوا هذه الحقائق، وقارنوا بين الدنيا والآخرة، وفتح الله بصائرهم، فلم يعبأوا بتهديد فرعون، بل رحبوا بالموت، والقتل، والصلب، لأنه في غايته الكبرى يضيع الحياة الدنيا، إلا أنهم سيفوزون بالحياة الأخرى .

لقد فات أوان تهديد السحرة، وربطت اللمسة الإيمانية مضغة القلب الضئيلة بالقدرة الإلهية اللانهائية، فإذا الإنسان قوة سامية، تلتصق برب الوجود كله، وتعلو فوق قوى الأرض كلها . واكتشفت امرأة فرعون هذه الحقائق، ولا مستها بقلبيها، وعقلها، ولذلك آثرت بيتا في الآخرة، واعتبرت دنيا فرعون بقصوره وأملاكه وسلطانه، سجنًا ظالما، وطغيانا فاسداً ، ونادت الله قائلة: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخَنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

" إن الإيمان اليقيني بالآخرة يصلح الحياة الدنيا، ولا يسمح للفساد، أيا كان لونه أو مصدره، أن يسود فيها، لأنه سيصطدم حتماً بالمؤمنين، ولن يعيش أبداً معهم . إن مشهد

(1) أنظر: جاد المولى، محمد أحمد: قصص القرآن، تحقيق: عبدالرحيم مارديني، دار أسامة، عمان، الأردن، ص131-132.

(2) أنظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد بن قاسم الحلاق: (ت 1332هـ)، محاسن التأويل، دار الكتب العلمية-بيروت، (ط1-1918م)، (77/11).

(3) سورة طه: 73

(4) القاسمي: محاسن التأويل، (135/7).

(5) سورة التحريم: 11

(6) غلوش، أحمد أحمد، دعوة الرسل عليهم السلام، مؤسسة الرسالة، ط1، (1423هـ-2002م)، (383)

السحرة، وامرأة فرعون، وهم يظهرون استعلاءهم على الكفر والضلال، هو إعلان واضح لحرية العقل والضمير، حيث ينفك عن قيود الأرض، وظلمات المادة⁽¹⁾.

أما الأستاذ سيد قطب فنجده يسبح في ظلال الآيات فيقول: " إنه مشهد انتصار الحق والإيمان في واقع الحياة المشهود، بعد انتصارهما في عالم الفكرة والعقيدة . فلقد مضى السياق بانتصار آية العصا على السحر وانتصار العقيدة في قلوب السحرة على الاختلاف وانتصار الإيمان في قلوبهم على الرعب والرهب، والتهديد والوعيد . فالآن ينتصر الحق على الباطل والهدى على الضلال، والإيمان على الطغيان في الواقع المشهود. والنصر الأخير مرتبط بالنصر الأول . فما يتحقق النصر في عالم الواقع إلا بعد تمامه في عالم الضمير، وما يستعلي أصحاب الحق في الظاهر إلا بعد أن يستعلوا بالحق في الباطن ... إن للحق والإيمان حقيقة تجسدت في المشاعر، أخذت طريقها فاستعلت ليراها الناس في صورتها الواقعية. فأما إذا ظل الإيمان مظهرًا لم يتجسم في القلب، والحق شعار لا ينبع من الضمير، فإن الطغيان والباطل قد يغلبان، لأنهما يملكان حدة مادية حقيقية لا مقابل لها ولا كفاء في مظهر الحق والإيمان⁽²⁾.

والذي تستنتجه الباحثة أن الإيمان الحقيقي سببٌ رئيسٌ في تحقيق النصر على الباطل والطغيان، أما إذا كان شعاراً فإن الباطل والطغيان يغلبان، كما هو ملاحظ في مجتمعنا وزماننا من قتل وفساد وظلم وطغيان ما هو إلا تكرار، لما حدث في السابق، ولكن بصورة أوسع وأفظع وأشرس مما كان في الماضي، يدل دلالة واضحة على انتصار الباطل وذلك بسبب ضعف القوة الإيمانية في القلوب. لذا يجب أن تتجسم العقيدة في النفس الإنسانية فلها ثمارها كما هو ملاحظ في نفوس السحرة التحرر من الخوف من الموت والحرص على الحياة: فلقد رأينا الناس لا يضعف نفوسهم شيء كالحرص على الحياة وان تكن ذليلة، والهرب من الموت وان كان كريماً. ولا يغرس فيهم القوة شيء كالاستهانة بالحياة، والإقبال على الموت في سبيل الحق الذي يعتقدونه ولا شيء كالإيمان بالله وبالخلود يهون على الإنسان لقاء الموت وفراق الحياة، والمرء إذا هانت عليه الدنيا ولم يبال بالموت هان عليه جبابرة الأرض، وملوك الناس ونظر إلى الذهب كما ينظر إلى الحجر، وإلى السيف كما ينظر إلى العصا أو هو أدنى. الحرص والخوف هما اللذان يضعفان النفوس، ويحنيان

(1) غلوش، دعوة الرسل عليهم السلام (384/1).

(2) قطب، في ظلال القرآن، (3344/4).

الرؤوس، وبذلان الأعناق، وإذا لم يكن حرص ولا خوف فلا سبيل إلى الضعف بحال. وقد رأينا سحرة فرعون حين آمنوا بالله والآخرة استهانوا بالدنيا ولم يجزعوا من الموت، يقولون لفرعون وهم في ثبات الجبال "فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا" إنهم لا يحرصون على شيء عنده، ولا يخافون على شيء عندهم، فلماذا يهينون أو يضعفون؟ كلا... لقد انقلبوا من أتباع له إلى دعاة له يبشرون وينذرون قال تعالى: ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنْ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۗ﴾ (1) «(2).

"وهكذا تتكرر الصورة، ولا تزال تتكرر حتى يرث الله الأرض ومن عليها . وهكذا يقف الدعاة في وجه الظلم والطغيان، ويعلنون في ميدان الدعوة إيمانهم الحق، وتحديهم للباطل، وصبرهم على الأذى في سبيل الله حتى يتحقق لهم النصر" (3).

والذي تراه الباحثة أن سبب ضعف القوة الإيمانية في نفوس الناس هو الحرص على الحياة الدنيا وإن كانت ذليلة، والخوف من الموت وإن كان في سبيل الله، وهذا ما جعل الناس في وقتنا الحاضر يعانون من الظلم والطغيان والذل والانحناء للغرب، فلا بد من التحرر من حب الحياة الدنيا والهرب من الموت، حتى يغرس الناس القوة الإيمانية في نفوسهم التي من خلالها يمكن مواجهة الظلم والطغيان وإعلاء الحق على الباطل وتحقيق النصر كما ظهر من فعل سحرة فرعون في مواجهتهم للظلم والطغيان عندما قالوا له: (لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات).

وأنه من حق الشعوب التخلص من الاستعباد والظلم وتقرير الحرية ولا يتحقق ذلك إلا بقوة الإيمان والاستعانة بالله تعالى.

(1) سورة طه: 73.

(2) القرضاوي، الإيمان والحياة، (279).

(3) الوكيل، محمد السيد، مدرسة الدعوة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (ط12-1400هـ)، (225)

المطلب الثاني: إثبات ولاية الله ورسوله على ولاية الكافرين وإن كانوا أقرب الناس

إن من أهم علامات محبة العبد لله والرسول صلى الله عليه وسلم موالاته من والى الله ورسوله - ومعاداة من عادى الله ورسوله. وهذه القضية هي أصل الإيمان ولا قيمة له بدونها، لهذا فإنه يجب على كل مسلم يؤمن بهذا الدين أن يوالي أهله ويعادي أعداءه وبذلك يكون "من ملة سيدنا إبراهيم والذين معه، الذين أمرنا بالافتداء بهم، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾⁽¹⁾ وهو من دين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾⁽²⁾، وهذا في تحريم موالاته أهل الكتاب خصوصاً، وقال تعالى في تحريم موالاته الكفار عموماً: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾⁽³⁾ بل لقد حرم الله على المؤمن موالاته الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسباً⁽⁴⁾.

قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ ﴿٣٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾⁽⁵⁾.

(1) سورة الممتحنة: 4

(2) سورة المائدة: 51.

(3) سورة الممتحنة: 1.

(4) أنظر: الفوزان: صالح بن فوزان بن عبدالله، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والتوحيد والإلحاد، دار

ابن الجوزي، ط4، (1420هـ-1999م)، ص307.

(5) سورة التوبة: 23، 24.

يقول القرطبي في تفسيره للآية " ظاهر هذه الآية أنها خطاب لجميع المؤمنين كافة، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين... وخص الله سبحانه الآباء والإخوة إذ لا قرابة أقرب منها. فنفى المولاة بينهم كما نفاها بين الناس، بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ﴾⁽¹⁾، ليبين أن القرب قرب الأديان لا قرب الأبدان. ولم يذكر الأبناء في هذه الآية إذ الأغلب من البشر أن الأبناء هم التابع للآباء"⁽²⁾.

وهذه الآية تؤكد بكل قوة انقطاع رابطة النسب، إذا انقطعت رابطة الإيمان بهذا الدين، وتبطل ولاية القرابة في الأسرة إذا بطلت ولاية القرابة في الله. فله الولاية الأولى، وفيها ترتبط البشرية جمعاء، فرابطة العقيدة متبوعة لا تابعة لغيرها والحبل مقطوع والعروة منقوصة⁽³⁾.

فإذا أعطى المؤمن ولاءه لها فإنها "باطلة في الشرع والعقل ومخرجة لصاحبها عن الإسلام، فمن أعطى المسلم ولاءه للكافرين فقد صار منهم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ؕ إِلَّا تَعْمَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾⁽⁴⁾، ومتى أعطى ولاءه للمنافقين صار منهم قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾⁽⁵⁾، وإذا أعطى ولاءه للمؤمنين صار منهم إذا أدى حق الإيمان قال تعالى: ﴿إِنهَا وَإِيكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾⁽⁶⁾ (7)

والذي نلاحظه من الآيات السابقة أنه لا يجوز للمسلم تقديم أي رابطة، على رابطة العقيدة وحب الله ورسوله والجهاد في سبيله.

(1) سورة المائدة: 51

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (8-93-94).

(3) أنظر: قطب، في ظلال القرآن، (3/1615)

(4) الأنفال: 73.

(5) التوبة: 67.

(6) سورة المائدة: 55.

(7) الجعود، محماس بن عبدالله بن محمد، (ت 1428هـ، المولاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، 2مج، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط1، (1407هـ- 1987م)، (1/164).

فحب الله يجب "أن يكون هو المقدم لأنه صاحب النعم والفضل واهب الوجود والكون، خلقنا ورزقنا وأحيانا. وهو الذي أوجد الآباء والأبناء والمال والتجارة والمساكن، على أنه متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص. وأما حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دون حبه -تعالى - وفوق حب تلك الأصناف الثمانية، فهو زعيم العلماء العاملين وقوة الهواة والراشدين، وهو المثل البشري الأعلى والقوة الحسنة في الخلق والأدب والفضل، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين. وقد جعل القرآن علامة محبة الله إتباع النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (1) «(2)».

قال ابن كثير: "هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه تلك، حتى يتبع الشرع المحمدي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ" (3) «(4)».

ومن الأحاديث النبوية الواردة في إثبات حب الرسول صلى الله عليه وسلم وولايته ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "أنا أولى الناس بالمؤمنين في كتاب الله عز وجل فأياكم ما ترك ديناً أو ضيعةً فادعوني فأنا وليه وأياكم ما ترك مالا فليؤت بماله عصبته من كان" (5).

"ودلّ الحديث على أنه ... إذا كان أولى بهم من أنفسهم فهو أولى بهم من بقية الناس من باب الأولى، لأن الإنسان أولى بنفسه من غيره فإذا تقدم للنبي -صلى الله عليه وسلم- على النفس

(1) سورة آل عمران: 31

(2) الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، (دار الجيل الجديد -بيروت، ط10-1413هـ)، (1/869)

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم ، فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمه مردود، (9/107).

(4) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، (ط1-1419هـ)، (2/32).

(5) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، بابا من ترك مالا فلورثته، (1619)، (3/1238)

فتقدمه في ذلك على الغير من طريق الأولى ... يترتب على كونه -عليه الصلاة والسلام- أولى بهم من أنفسهم أنه يجب عليهم إيثار طاعته على شهوات أنفسهم، وإن شق ذلك عليهم، وأن يحبوه أكثر من محبتهم لأنفسهم، ومن هنا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"⁽¹⁾⁽²⁾. "فلا يكون المؤمن مؤمناً حتى يُقدم محبة الرسول على محبة الخلق ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله"⁽³⁾.

وفي حديث آخر، قال عمر بن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم: "لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي قَالَ لَهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ"⁽⁴⁾.

" قال الخطابي : لم يرد به حب الطبع بل أراد به حب الاختيار، لأن حب الإنسان نفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه، قال فمعناه لا تصدق في حبي حتى تفني في طاعتي نفسك وتؤثر رضائي على هواك، وإن كان فيه هلاكك"⁽⁵⁾.

"فمن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم إيثار سنته على الرأي والمعقول ونصرته بالمال والنفس والقول، وعلامة محبته إتباعه ظاهراً وباطناً فمن إتباعه ظاهراً أداء الفرائض واجتتاب

⁽¹⁾ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب : حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، حديث (15)، (12/1)

⁽²⁾ العراقي، أبو الفضل، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم وآخرون، (ت 806هـ) طرح التثريب في شرح التقريب، 8 مج، دار إحياء التراث العربي، (6/228)

⁽³⁾ الحنبلي، زين الدين، عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن (ت 795هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، 2مج، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، (1422هـ - 2001م)، (397/2).

⁽⁴⁾ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأيمان والتزود، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم - حديث (6632)، (8/129).

⁽⁵⁾ العراقي، طرح التثريب، (6/228).

المحارم والتخلق بأخلاقه والتأدب بشمائله وأدابه، والافتقار لآثاره والتحسس عن أخباره، والزهد في الدنيا والإعراض عن أبنائها ومجانبة أهل الغفلة والهوى⁽¹⁾.

وعلاوة محبته أنه إذا حصل تعارض بين طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين هذه الأشياء المحبوبة، فإن قدم المرء طاعة الرسول وامتنثال أوامره على ذلك. كان دليلاً على صحة محبته للرسول وتقديمها على كل شيء، وإن قدم على طاعته وامتنثال أوامره شيئاً من هذه الأشياء المحبوبة دل على عدم إتيانه الإيمان التام الواجب عليه. وعليه تكميل هذا الإيمان بتقديم طاعة الرسول على كل شيء⁽²⁾.

"فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله، أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله، أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله، أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه، أو معاملة أحدهم على معاملة الله، فهو ممن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما"⁽⁴⁾.

"والخلاصة : أن الدين يغير المفاهيم، فيجعل رابطة الدين أعلى وأقوى وأولى من رابطة العصبية الجنسية، وصلة القرابة، والانتماء للأسرة، ويقرر أن كثرة الهجرة والجهاد لا تظهر إلا بترك ولاية المشركين، وإيثار طاعة الله والرسول على كل شيء في الحياة"⁽⁵⁾.

والملاحظ في وقتنا الحاضر تقديمهم رابطة القرابة والمصلحة الشخصية على محبة الله ورسوله، مما كان له أثراً كبيراً في ضعف الأمة الإسلامية، وتعرضها للظلم والاستعباد، ولن يكون لها الاعتزاز بنفسها إلا بالرجوع إلى العقيدة والدين، وأن يكون ولاءهم لله وللرسول وللمؤمنين به،

(1) أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي، (ت 386هـ)، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، 2 مج، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2، (1426هـ-2005م)، (139/2).

(2) أنظر: ابن حجر، فتح الباري، (49/1).

(4) ابن قيم الجوزية، شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت 751هـ)، تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال - بيروت، (ط1-1410هـ)، (94/1).

(5) الزحيلي، التفسير المنير، (149/10).

والبراءة من كل كافر ولو كان أقرب الناس إليه، فلا يجتمع الإيمان والمولاة للكافرين في قلب مؤمن ولا يستقيم إيمانه إلا بحب الله والرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (1).

(1) المجادلة: 22.

المبحث الثالث

إيثار الكفر على الإيمان

إن الصراع بين الإيمان والكفر قديم قدم الحياة الإنسانية، فالصراع قائم منذ خلق الله البشر، وهذه سنة الله تعالى في ذلك، فنجد من يؤثر الإيمان على الكفر لأنه عرف الحق واتبعه، ونجد من يؤثر الكفر على الإيمان الذي يخالف شهواته وأهوائه فكره ذلك.

وبالنظر في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، يظهر أن الحديث عن إيثار الكفر على الإيمان يمكن تناوله في المطالب الآتية:

المطلب الأول: إيثار قوم ثمود الكفر على الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (1).

"وأما ثمود وهم القبيلة المعروفة الذين سكنوا الحجر وحواليه، الذين أرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام، يدعوهم إلى توحيد ربهم، وينهاهم عن الشرك وآتاهم الله الناقة، آية عظيمة، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، ي حلبون لبنها يوماً ويشربون من الماء يوماً، وليسوا ينفقون عليها، بل تأكل من أرض الله، ولهذا قال هنا: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ (2) أي: هداية بيان، وإنما نص عليهم، وإن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة، وحصل لهم البيان، لأن آية ثمود، آية باهرة، قد رآها صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنتاهم، وكانت آية مبصرة، فهذا خصهم بزيادة البيان والهدى . ولكنهم من ظلمهم وشرهم استحبوا العمى الذي هو الكفر والضلال، على الهدى الذي هو العلم والإيمان فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون" (3).

ولقد اختلف المفسرين في تفسير قوله تعالى: "فهديناهم" أي دللناهم على طرق الخير والشر فاستحبوا العمى على الهدى أي اختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد.

(1) سورة فصلت: 17

(2) سورة فصلت: 17

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (746/1)

وذكر تفسير الهوى في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁽¹⁾. الهدى عبارة عن الدلالة الموصولة إلى البغية⁽²⁾، أي إلى طريق الخير والرشد وهذه الآية تبطل قوله⁽³⁾ لأنها تدل على أن الهدى قد حصل مع أن الوصول إلى الهداية لم يحصل، فثبت أن شرطه بأن موصولاً الهدى إلى الهداية غير معتبر في اسم الهدى.

وقيل: أن هذه الآية دالة على أن الله قد يضع الدلائل ويزيح الأعذار والعلل، إلا أن الإيمان إنما يحصل باختيار من العبد لأن قوله وأما ثمود فهديناهم يدل على أنه تعالى قد وضع لهم الدلائل الموصلة إلى الهداية وقوله فاستحبوا العمى على الهدى يدل على أنهم من عند أنفسهم اختاروا العمى، فهذا يدل على أن الكفر والإيمان يحصلان من العبد.

وقيل: أنهما يحصلان من الله لا من العبد وبيان ذلك من وجهتين:

أولاً: أنهم إنما صدر عنهم ذلك العمى، لأنهم أحبوا تحصيله، فلا وقعت في قلوبهم هذه المحبة، اختاروا العمى على الهدى.

ثانياً: أنه تعالى قال: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾⁽⁴⁾. إن اختياره العمى على الهدى، إنما كان على جهل منهم ولم يكن بإرادتهم.

وذكر الشنقيطي: أن المراد بالهدى "الدلالة البيان والإرشاد لا هدى التوفيق والاصطفاء والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾⁽⁵⁾، لأنها لو كانت هداية توفيق لما انتقل صاحبها عن الهدى إلى العمى"⁽⁶⁾.

(1) سورة البقرة: 2.

(2) أنظر: الزمخشري، أبو القاسم، محمد بن عمر بن أحمد (ت 538هـ)، 4مج، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط3- 1407هـ)، (4/194).

(3) أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (27-554).

(4) سورة فصلت: 17.

(5) سورة فصلت: 17.

(6) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان، (7/19).

ويقول الشعراوي: أن المراد بالهدى من الله لكل خلقه، وهو أن يدلهم على الطريق المستقيم ويدلهم على طاعته وجنته وهذا هو هدى الدلالة، فالله دل قوم ثمود على طريق الهداية ولكنهم أحبوا طريق الغواية والمعصية واتبعوه، هذه هداية الدلالة.

أما هداية المعونة ففي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾⁽¹⁾ وهي لا تحقق إلا لمن ابتغ منهم الله وأقبل على هداية الدلالة فعمل بها. والله يعين من يرفضها⁽²⁾، وبمعرفة هذين النوعين لا يزال الأشكال حيث أثبت الله سبحانه وتعالى لنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم الهوى في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁽³⁾ ونفاه في آية أخرى وهي: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾⁽⁴⁾ فيعلم أن الهدى المثبت له في الآية الأولى هو البيان والدلالة والإرشاد، وفي الآية الثانية التفضيل والتوفيق⁽⁵⁾.

مما سبق ندرك أن الآية أوجبت لهم الهداية وهي البيان والدلالة والإرشاد فأثروا الضلالة والكفر عن علم وبصيرة، وهذا لا ينافي هدى التوفيق والإعانة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾⁽⁶⁾ فيعلم من ذلك أن الهداية لا تحصل للعبد إلا إذا اختارها توعدده فيزده ويعينه عليها ربه، ومن لا يأخذ هذا الطريق توعدده الله بالصاعقة الشديدة كما توعد قوم ثمود، قال تعالى: " فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون". قال تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾⁽⁷⁾، وأن الله ذكر هذه القصة ليبين سوء العاقبة لمن يؤثر العمى على الهدى.

(1) سورة محمد: 17.

(2) أنظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (122/1).

(3) سورة الشورى: 52.

(4) سورة القصص: 56.

(5) أنظر: الشنقيطي: أضواء البيان، (21/20/7).

(6) سورة القصص: 56.

(7) سورة البقرة: 20.

المطلب الثاني: إثبات الكفر إتباعاً لهوى النفس.

جاء في تعريف " الهوى أنه ميل النفس إلى ما تستلذه الشهوات من غير داعية الشرع "(1).

حيث قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ (2)، أي يعمل بكل ما يدعوه إليه هواه (3).

ويقول الميداني: " أما أهواء النفس وشهواتها فهي من دون العقل الإيماني حمقاء رعناء جاهلة تتدفع اندفاعاً بهيميا أعشى، وهي في أغلب حالاتها تميل إلى اغتنام اللذات العاجلة، ولو كان من ورائها مضار وألام كثيرة آجلة، وتميل إلى زخرفة الحياة الدنيا وزينتها وتفآخرها، ولو كان في ذلك سخط الله ومعصيته. فمن طبع أهواء النفوس أنها تؤثر العاجلة وتذر الآخرة، ما لم يضبطها ضابط من العقل الصحيح الراجح، المقرون بالإرادة الحازمة، أو ضابط من الإيمان الراسخ والدين المهيمن على النفس، والمتغلغل في أعماق القلب والوجدان. لذلك كان اتباع الأهواء والشهوات من الأسباب المضلة المبعدة عن صراط الله المستقيم، والمفضية بالإنسان إلى مواقع تهلكته.

ولذلك كانت الأهواء والشهوات من الوسائل التي تستغلها الشياطين للإغواء فتدغدغها وتثيرها، وتوجهها للانحراف عن صراط الله، ولا تزال تسيطر عليها شيئاً فشيئاً، حتى تكون أسلحة فتاكة في أيديها، فقد تستدرج الإنسان عن طريق أهوائه وشهواته حتى تدفع به إلى جحود الحق، والكفر بالله، بعد أن تعبر به جسور المعاصي والآثام، وتبدأ سلسلة الاستدراج بأن تعبر به جسور صغائر الذنوب، ثم تنتقل به إلى عبور جسور بعض كبائر الذنوب، ثم تنتقل به إلى عبور جسور الكبائر الكبرى، ثم تدفع به إلى مواقع الكفر "(4).

وينشأ عن إتباع الهوى الضلال عن الحق، فقد أمر الله سيدنا داود بالعدل بين الناس

والابتعاد عن الهوى قال تعالى: ﴿ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا

(1) أبو البقاء، الكليات، (962/1)

(2) سورة الجاثية : آية 23.

(3) السمر قندي، بحر العلوم، (540/2).

(4) الميداني، الأخلاق الإسلامية، (781-782).

تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١﴾ (1) لأن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله، والضلال

عن سبيل الله يوجب سوء العذاب، وإتباع الهوى يحمل الإنسان على الشهادة بغير الحق (3).

ويؤدي أيضاً إلى ظلم الآخرين وظلم نفسه، قال تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ

عِلْمٍ﴾ (4)، ففي هذه الآية بين الله أن من الأسباب الموصلة إلى الظلم والموقعة فيه، إتباع

الأهواء، والظلم مظهر من مظاهر مجانبية الحق، وإتباع الظالمين أهواء نفوسهم ضلوا (5) "هؤلاء

المشركون الذين ظلموا أنفسهم اتبعوا أهواءهم جهلاً منهم، ولم يحكموا عقولهم، في عبادتهم الأنداد

بغير مستند من عقل أو نقل، وساروا على غير هدى ولا علم ولا بصيرة" (6). وقد بين القرآن الكريم

أن الدين واضح، لا يبتعد عنه إلا من اتبع أهواء نفسه.

"والقرآن يصف العلاج للقضاء على هوى النفس وذلك بالتوجه الكلي إلى الله والامتناع عن

مخالفة أمره. قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ

الْمَأْوَىٰ﴾ (7)(8). "ونهي النفس عن الهوى هو نقطة الارتكاز في دائرة الطاعة، فالهوى هو الدافع

القوي لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية. وهو أساس البلوى، وينبوع الشر وقل أن يؤتى

الإنسان إلا من قبيل الهوى، فالجهل سهل علاجه. ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج

إلى جهاد شاق طويل الأمد لعلاجها" (9).

(1) سورة ص: 26

(3) أنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (166/10)

(4) سورة الروم: 29

(5) الميداني، الأخلاق الإسلامية، (783/1)

(6) الزحيلي، التفسير المنير، (79/21)

(7) سورة النازعات: 40-41

(8) طباره، روح الدين الإسلامي، (227/1)

(9) قطب، في ظلال القرآن، (3819/6)

أما الاستاذ محمد عزت دروزة فيقول في تفسيره للآية الكريمة: "وتعبير (وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ) تعبير قوي نافذ في صدد اجتناب الآثام والموبقات والشهوات من حيث تصوير كون أهم ما يورط المرء في ذلك هو اتباع هوى النفس دون وازع ولا زاجر، وفي هذا تلقين جليل مستمر المدى"⁽¹⁾.
 والسنة النبوية الشريفة تصف العلاج للقضاء على هوى النفس وذلك عن طريق مجاهدة النفس بالامتناع عن الشهوات وترك الهوى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ"⁽²⁾. قال ابن بطال: "جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكبر"⁽³⁾. "ثمره مجاهدة النفس الهداية قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽⁴⁾"⁽⁵⁾.

المطلب الثالث: إيثار الدنيا على الآخرة والكفر على الإيمان .

لقد توعد الله الكافرين الذين جحدوا بالرسالة ، واستحبوا الدنيا على الآخرة بالويل والعذاب الشديد يوم القيامة ومن الآيات الدالة على ذلك قال تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝١ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَيُؤْتِي ٱلَّذِينَ يَشَاءُ مِمَّا يَشَاءُ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۗ أُو۟لَٰئِكَ فِي ضَلٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٦﴾⁽⁶⁾.

ثم "وصف الله تعالى هؤلاء الكافرين الجاحدين بالرسالة النبوية بصفات ثلاث:

1- فهم الذين يحبون الدنيا ويؤثرونها على الآخرة، ويعملون للدنيا ومتاعها فقط.

2- وهم الذين يمنعون من إتباع الرسل ويعرقلون مسيرة الإيمان بالله والقرآن والنبي.

(1) دروزة محمد عزت، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، ط183هـ، (415/5)

(2) الترمذي، سنن الترمذي، أبواب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً، حديث (1621)، (165/4)، قال الألباني: صحيح.

(3) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (210/10).

(4) سورة العنكبوت: 69.

(5) المناوي، فيض القدير، (173/2).

(6) سورة إبراهيم: 1-3.

3- وهم يحبون أن تكون سبيل الله موجة مائلة عن الحق. لتوافق أهوائهم.

وسبيل الله : طريقة هداة وشرعه الذي جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

أما جزاء الذين يستحبون الدنيا على الآخرة والكفر على الإيمان فيبينه قوله تعالى: ﴿

كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾.

"والنص هنا يغلظ جريمة من كفر بالله من بعد إيمانه . لأنه عرف الإيمان وذاقه، ثم ارتد عنه إيثاراً للحياة الدنيا على الآخرة . فرماهم بغضب من الله، وبالعذاب العظيم، والحرمان من الهداية ووصفهم بالغفلة وانطماس القلوب والسمع والأبصار، وحكم عليهم بأنهم في الآخرة هم الخاسرون"⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جُرْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٤﴾.

"واستثنى الله بعض المتظاهرين بالكفر، وهم الذين كفروا بألسنتهم ووافقوا المشركين على مرادهم بالإكراه بسبب الضرب والأذى، ولكن قلوبهم مطمئنة بالإيمان بالله ورسوله، كما فعل عمار بن ياسر حينما عذبه المشركون، فقال من النبي في ظاهر لسانه⁽⁵⁾"⁽⁶⁾.

(1) الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، 3 مج، دار الفكر - دمشق، (ط1-1422هـ)، (2/1180).

(2) سورة النحل: 106، 107.

(3) قطب، في ظلال القرآن، (4/2196).

(4) سورة النحل: 108-109.

(5) أنظر سبب نزول قوله تعالى : " إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ " سورة النمل 105، في: ابن أبي شيبة، أبو بكر،

عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان (ت 235هـ)، مصنف ابن أبي شيبة، 7 مج، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة

الرشد، الرياض، (ط1-1409)، (6/386).

(6) الزحيلي، التفسير الوسيط، (2/1307).

والذي تلاحظه الباحثة من خلال الآيات أن أعظم سبب لإيثار الحق على الباطل هو استقرار الإيمان في قلوب المؤمنين، ومحبة الله ورسوله، وأعظم الأسباب لإيثار الباطل على الحق هو استحباب الحياة الدنيا وهوى النفس الذي يؤدي بالإنسان إلى الهلاك في الدنيا والآخرة.

المبحث الرابع

إيثار الله تعالى للصالحين في الأرض

إن إيثار الله لعبد من عباده الصالحين، لا يكون لأي شخص، إنما تكون لمن أثر طاعة الله على كل شيء ويكون إيثاره له، بأن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سره وجهه فيكون هو المشير عليه والمدبر لأمره والمزين لأخلاقه والمستعمل لجوارحه⁽¹⁾ ويظهر ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول : إيثار يوسف عليه السلام على إخوته.

"قال الله تعالى مخبراً عن أخوة يوسف: ﴿ تَأْتِيهِمْ لَيْلٌ مِّنَ اللَّيْلِ يَأْتِيهِمْ أَضْوَؤُهُمْ مُّطْمَئِنِّينَ ﴾ (2)، فهذا نص في الإيثار لبعض خلقه على بعض⁽³⁾. "تالله بمعنى: والله. إلا أن التاء لا يقسم بها إلا في الله عز وجل . ولا يجوز تالرحمن ولا تربي"⁽⁴⁾. " والمعنى: لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل "⁽⁵⁾.

فالمحبة مزيد إيثار من الله لعبده في حسن معاملته، أو حقيقة علم يهبه له، كما قال أخوة يوسف عرفوا محبة الله ليوسف عليهم فقالوا: تالله، (لقد آثرك الله علينا)، ثم قالوا: (وإن كنا لخاطئين)؟ لأنهم عرفوا أن الله آثره بما لم يؤثرهم به، قال في موهبته له: آتيناها حكماً وعلماً، وكذلك نجزي المحسنين، فذكر أن إحسان سيدنا يوسف كان سبباً في إيثار الله له على أخوته لأن الله إذا أحب عبداً ابتلاه يعني اختبره، فان صبر اجتباها، وان رضي اصطفاها⁽⁶⁾.

(1) الغزالي: احياء علوم الدين، (329/4).

(2) سورة يوسف : 91

(3) أبو طالب الملكي، قوت القلوب،(171/2).

(4) ابن الجوزي، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ)، التبصرة، دار الكتب العلمية، بيروت-

لبنان، ط1، (1406هـ-1986م)،(154/1).

(5) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (553/2).

(6) أنظر: أبو طالب المكي، قوت القلوب، (87/2)

المطلب الثاني: إيثار الصالحين من بني إسرائيل على غيرهم.

تشكل مسألة اختيار الله لبني إسرائيل على أهل زمانهم محوراً أساسياً في حياتهم، وبمقتضى هذا الاختيار يعتبرون أنفسهم بأنهم شعب الله المختار لا ينازعهم فيه منازع قال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (1)، وذكرهم القرآن الكريم بهذا الميثاق وأنه يجب عليهم الالتزام به، قال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (2)، وهذا النص القرآني يذكر الله فيه بني إسرائيل "اليهود" الذين كانوا يسكنون المدينة بنعم الله عليهم وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى، ابتداءً من انجائهم من فرعون وبطشه وتظليل الغمام لهم وغيرها (3) ويلاحظ من خلال النص إن الله تعالى قد أقام عهداً آخر مع بني إسرائيل وأنه فرض عليهم التزامات عليهم أن يفوا بها مقابل أن يفضلهم على أهل زمانهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (4) فالملحوظ أن بني إسرائيل لم يلتزموا بهذا العهد مع اختيار الله لهم على العالمين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ (5).

ففي قوله (على علم) إشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى، إنما كان اختياره لبني إسرائيل، واختصاصهم بكثرة الأنبياء الذين أرسلوا فيهم، والآيات التي جاءوهم بها، وتظاهر النعم عليهم - إنما كان ذلك على علم منه سبحانه وتعالى بما سيكون من هؤلاء المناكيد، من كفر بهذه الآيات، وتكذيب لرسول الله، وإعنات لهم، كما يقول سبحانه وتعالى فيهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا

(1) سورة البقرة: 47.

(2) سورة البقرة: 40.

(3) أنظر: النيسابوري، غرائب القرآن، (1/276).

(4) سورة المائدة: 12.

(5) سورة الدخان: 32.

هُوَ أَنْفُسِكُمْ أَصْغَرُ مَا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا نَقُولُونَ ﴿١﴾ (2). "فيشير قوله تعالى إلى أن اختيار الله ونصره لبني إسرائيل قد يكون لأفضل أهل زمانهم ولو لم يكونوا قد بلغوا مستوى الإيمان العالي. إذا كانت فيهم قيادة تلتزم بشرع الله ودينه(3).

وأن هذه الخيرية لا تكون لأي أمة إلا لمن آمنت بالله تعالى وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر قياساً على ذلك فإن خيرية بني إسرائيل إنما كانت على أهل زمانهم بسبب استجابتهم لدعوة موسى عليه السلام وإيمانهم بالله وحده والتزامهم شرائعه. ولا يتفق مع القرآن ولا مع حكمة الله أن يدوم حكم الخيرية لهم حينما انحرفوا عن عبادة الله وشرائعه(4). فعدم التزامهم بهذا الميثاق يدل على أنه لم يعد بنو إسرائيل مفضلين عند الله عن بقية الناس، فمجرد نقضهم للعهد مع الله، وعدم الالتزام دليل على انتهاء العهد بينهم وبينه، والآية تشير إلى أن التفضيل لم يختص به بنو إسرائيل وإنما تشمل على الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم على أمم عصرهم، كما اختار الذين آمنوا بموسى عليه السلام على أمم عصرهم وأنه عالم بأن أمثالهم أهل لأن يختارهم الله(5). وعلى هذا المعنى يدل قوله تعالى عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (6) مما سبق ندرك أن أي جماعة تلتزم بشرع الله يكون لها التفضيل والخيرية على الأمم، وأي أمة لا تلتزم به سيكون لها الذل والهوان كما حدث لبني إسرائيل.

(1) سورة البقرة: 87.

(2) الخطيب، عبدالكريم يونس، (ت 1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي - القاهرة، بلا طبعة، بلا تاريخ للنشر، (201/13).

(3) أنظر: قطب، في ظلال القرآن، (5/3214).

(4) أنظر: عزت، التفسير الحديث، (4/546).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (25/305).

(6) سورة آل عمران: 110.

المبحث الخامس

إيثار الغير على النفس

مقدمة:

إيثار الغير على النفس مرتبة عظيمة، لا يستطيع كل شخص الوصول إليها، وقد ذكر ابن القيم أن هذه المرتبة يمكن بلوغها بثلاثة أشياء، وهي⁽¹⁾:

(1) تعظيم الحقوق : فان من عظمت الحقوق عنده، قام بواجبها، ورعاها حق رعايتها.

(2) مقت الشح : فانه إذا مقته وأبغضه، التزم الإيثار، فإنه يرى أنه لا خلاص له من هذا المقت البغيض إلا بالإيثار .

(3) الرغبة في مكارم الأخلاق : لأن الإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق.

وقد عرض القرآن الكريم والسنة النبوية مجموعة من النماذج التي يظهر فيها إيثار الغير على النفس بشكل واضح، وسنتناول هذه القضية في المطالب الآتية:

المطلب الأول: إيثار رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره على نفسه.

رسم لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخلاقه التي اتصف بها نموذجاً يقتدى به في حياته وبعد مماته، حيث وصفه الله بأنه على خلق عظيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽²⁾ ولا يمكن أن يحثنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم على التمسك بخلق الإيثار ولا يكون متمسكاً به، فكان الإيثار من جملة الأخلاق التي دعا إلى التمسك بها، كما تدل على ذلك كثيرٌ من الأحاديث النبوية الشريفة منها :-

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (284/2-285)، ابن القيم، طريق الهجرتين، (1/ 311)

(2) سورة القلم: 4

- عَنْ سَهْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " أَنْ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فِيهَا حَاشِيَتُهَا (1) أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ (2)، قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدَيَّ فَجِئْتُ لِأَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجاً إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارَةٌ (3) فَحَسَنَتْهَا (4) فُلَانٌ (5)، فَقَالَ: اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَتْهَا، قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، لَيْسَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجاً إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ لِأَنْبَسَهُ، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ فَكَانَتْ كَفْنُهُ (6) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم يضرب للمسلمين المثل في إيثاره لغيره على نفسه في حاجته لذلك الشيء، بينما نجد الحكام والقادة يستأثرون بكل شيء ويحرمون الفقراء والمحتاجين مما يؤدي إلى الحقد عليهم وكرهيتهم.

- ومن أخلاقه الكريمة في تقديم حاجة غيره على حاجة نفسه ما جاء عن أبي هريرة كان يقولُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لِأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ وَإِنْ كُنْتُ لِأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ وَلَقَدْ فَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيشْبِعَنِي فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ ثُمَّ مَرَّ بِي عَمْرٌ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيشْبِعَنِي فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَيْتُ وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِ تَمَّ قَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قُلْتُ لَنَبِيِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْحَقُّ وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لِي فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ قَالُوا أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قُلْتُ لَنَبِيِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي قَالَ وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلِ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا فَسَاعَنِي ذَلِكَ فَقُلْتُ وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَنْقَوَى بِهَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرِي

(1) حاشيتها) : طرفها أو هديها أي إنها جديدة لم تقطع من ثوب أو لم يقطع هديها لأنها لم تستعمل . ابن حجر، فتح الباري، (143/3).

(2) الشملة كساء يشتمل به، العيني، عمدة القاري، (81/8)

(3) إزاره : متزرا بها . العيني، عمدة القاري، (61/8).

(4) فحسنها فلان : أي نسبها إلى الحسن . العيني عمدة القاري (61/8)

(5) فلان : عبد الرحمن بن عوف، ابن حجر، فتح الباري، (268/1).

(6) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من استعد الكفن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه، حديث

(1277)، (78/2)

حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿١﴾ (1) أي من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم (2) .

لما هاجر المسلمون إلى المدينة، تاركين وراءهم أهلهم وأموالهم وأولادهم وجدوا إخوانهم الأنصار يؤثرونهم على أنفسهم. ومما يدل على ذلك ما جاء " عن أنس بن مالك رضي الله عنه - قال : قدم عبد الرحمن بن عوف فأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وعند الأنصاري امرأتان فعرض عليه أن ينافسه أهله وماله، فقال: بارك الله لك في أهلك ومالك دنني على السوق، فأتى السوق فربح شيئاً من أقط و شيئاً من سمن فراه النبي صلى الله عليه وسلم بعد أيام وعليه وضر (3) من صفرة، فقال : النبي صلى الله عليه وسلم مهيم (4) يا عبد الرحمن ؟ فقال : تزوجت أنصارية. قال : " فما سقت ؟، قال : وزن نواة من ذهب قال: " أولم ولو بشاة " (5) .

ويقول الغزالي: " والإخاء الحق لا ينبت في البيئات الخسيسة، فحيث يشيع الجهل والغش والجبن والبخل والجشع لا يمكن أن يصح إخاء أو تترعرع محبة، ولولا أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم جبلوا على شمائل تقية، واجتمعوا على مبادئ رضية، ما سجّلت لهم الدنيا هذا التآخي الوثيق في ذات الله" (6) .

(1) سورة الحشر: 9

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (70/8).

(3) (وضر) : تلطخ من أثر الطيب الذي له لون . ابن حجر، فتح الباري، (206/1).

(4) مهيم كلمة موضوعة للاستفهام ومعناها ما شأنك وما أمرك . ابن بطلان، شرح صحيح البخاري (167/7).

(5) البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، بابا ما جاء في قوله تعالى : "فلإذا قضيت الصلاة"، حديث (2049)، (53/3).

(6) الغزالي، محمد، (ت 1416هـ)، فقه السيرة، دار القلم - دمشق، (ط1 - 1427هـ)، ص190.

وفي حديث آخر عن أنس قال: دَعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَنْصَارَ لِيُقَطَعَ لَهُمْ بِالْبَحْرَيْنِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ فَعَلْتَ فَاكْتُبْ لِإِخْوَانِنَا مِنْ قُرَيْشٍ بِمِثْلِهَا، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أُنْزَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْفُقُونِي" (1).

"وفي الحديث فضيلة ظاهرة للأَنْصَارِ لتوقفهم عن الاستئثار بشيء من الدنيا دون المهاجرين، وقد وصفهم الله تعالى على ثلاث مراتب: إيثارهم على أنفسهم، ومواساتهم لغيرهم، والاستئثار عليهم" (2).

المطلب الثالث: الإيثار في سلوك الصحابة والسلف الصالح

اقتدى الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح بالرسول صلى الله عليه وسلم، وتخلقوا بخلق الإيثار فضربوا لنا أروع الأمثلة في ذلك، فقد كان الصحابة يتنافسون في إيثار بعضهم بأموالهم، حيث إن المال يأتي في الدرجة الثانية في الإيثار بعد الإيثار بالنفس، وهو أحب شيء لدى الإنسان، ولكنهم أرادوا بهذا الإيثار مرضاة الله سبحانه وتعالى، ولذلك نجدهم يتنافسون في ذلك. ومن الأمثلة على ذلك:

- تنافس عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما في الإيثار بالمال، كما جاء عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: أَمَرْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا أَنْ يَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا لَنَا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتَهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟" قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللهُ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا" (3).

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب كتابة القطائع، حديث (2377)، (114/3).

(2) ابن حجر، فتح الباري، (49/5)

(3) أبو داود، سليمان بن إسحق بن بشير بن شداد بن عمر (ت 275هـ)، سنن أبي داود، 4 مج، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بلا طبعة، كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك، حديث، (1678)، (129/2)، قال الألباني: حسن.

- ومن صور الإيثار بالمال أيضاً، إيثار أبي طلحة رضي الله عنه، فجاء "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ⁽¹⁾ وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ النَّبِيُّ يَدْخُلُهَا وَيَشْرِبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ قَالَ أَنَسٌ : فَلَمَّا نَزَلَتْ لَنَا تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ قَالَ أَبُو طَلْحَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا نُحِبُّونَ﴾ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ⁽²⁾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ وَإِنَّهَا صَدَقَهُ اللَّهُ أَرْجُو بِهَا بَرَّهَا وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ: بَخٍ بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ وَأَنَا أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : أَفْعَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ⁽³⁾.

- ومن إيثار الصحابة لغيرهم بالمال ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أخذ أربعمائة دينار، فجعلها في صُرَّةٍ ثم قال للغلام : اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تَلَكَّأَ⁽⁴⁾ ساعة في البيت حتى تنتظر ماذا يصنع بها . فذهب بها الغلام إليه: فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال : وصله الله ورحمه، ثم قال : تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها . فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره فوجده قد أعد مثلها إلى معاذ بن جبل ... فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك عمر، وقال : إنهم إخوة! بعضهم من بعض⁽⁵⁾.

ومن إيثار السلف الصالح ما "حكى عن أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الري⁽⁶⁾، ومعهم أرغفة معدودة لا تشيع جميعهم، فكسروا الرغفان

(1) بيرحاء: بستان بالمدينة فيه ماء، العيني، عمدة القاري، (146/18).

(2) آل عمران: 92.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، حديث (1461)، (119/2).

(4) تَلَكَّأَ: عليه اعتل وعنه تباطأ وتوقف، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، بلا طبعة، (836/2).

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (27/18).

(6) الرِّي: بلد معروف من الدَّيْلَم بين قومس والجبال، وله رساتيق وأقاليم كثيرة، الزبيدي، تاج العروس، (200/38).

وأطفنوا السراج وجلسوا للطعام، فلما رفع فإذا الطعام بحاله لم يأكل منه أحد شيئاً، إيثاراً بصاحبه على نفسه «(1).

ومن أروع الأمثلة في الإيثار ما ورد عن حذيفة العدوي، قال : انطلقتُ يومَ اليرموكِ أطلبُ ابنَ عمِّي ، ومَعِي شَنَّةٌ⁽²⁾ مِنْ مَاءٍ ، وَإِنَاءٌ ، فَقُلْتُ : إِنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ سَقَيْتُهُ مِنَ الْمَاءِ ، وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِهِ يَنْشَعُ⁽³⁾ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَسْقِيكَ ؟ فَأَشَارَ أَنْ نَعَمْ ، فَإِذَا رَجُلٌ ، يَقُولُ : آه ، فَأَشَارَ ابْنُ عَمِّي أَنْ انْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ أَخُو عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، فَأَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : أَسْقِيكَ ؟ فَسَمِعَ آخَرَ ، يَقُولُ : آه ، فَأَشَارَ هِشَامٌ أَنْ انْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ أَتَيْتُ ابْنَ عَمِّي ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ !".رحمة الله عليهم أجمعين «(4).

ووصل الإيثار عند الصحابة إلى ما هو أبعد من ذلك، حتى إن عائشة رضي الله عنها تؤثر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه على نفسها بأن يدفن بجانب الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن عمر بن ميمون الأودي قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال يا عبد الله بن عمر اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام ثم سلها أن أدفن مع صاحبي. قالت كنت أريده لنفسه فلاؤثرنه⁽⁵⁾ اليوم على نفسي⁽⁶⁾.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (29/18)

(2) شَنَّةٌ: أي قِرْبَةٌ انظر: ابن الأثير، محمد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، (ت 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، كمج، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت، (1399هـ- 1979م)، (507/2).

(3) النشع في الأصل: الشهيق حتى يكاد تبلغ به العشى، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (507/2).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (28/18)، والغزالي، إحياء علوم الدين، (258/3)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (338/4)

(5) فلاؤثرنه : من الإيثار، يقال : أثرت فلانا على نفسي، إذا اختاره على نفسه وفضله عليه . العيني، عمدة القاري، (229/8)

(6) البخاري، صحيح البخاري، كتاي الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

المطلب الرابع: إيثار الآخرين على النفس في القربات والطاعات.

الإيثار إما أن يتعلق بالناس، وإما أن يتعلق بالله تعالى، وإن تعلق بالناس فعليك أن تؤثرهم على نفسك بشرط: أن لا يضيع عليك وقتاً، ولا يلحق بك ضرراً في دينك، ولا يؤدي بك إلى الهلاك.

فإن كان في الإيثار ضررٌ على الإنسان في وقته ودينه، فإيثار نفسه عليهم أولى، فإن الرجل من لا يؤثر بنصيبه من الله أحداً كائناً من كان، لأن الإيثار المحمود الذي أثنى الله على فاعله : الإيثار بالدنيا لا بالوقت والدين وما يعود بصلاح القلوب⁽¹⁾.

"ومن هنا تكلم الفقهاء في (الإيثار بالقرب) وقالوا : إنه مكروه أو حرام ؛ كمن يؤثر بالصف الأول غيره ويتأخر هو، أو يؤثره بقربه من الإمام يوم الجمعة، أو يؤثر غيره بالأذان والإقامة، أو يؤثره بعلم يحرمه نفسه، ويدفعه عليه فيفوز به دونه"⁽²⁾.

وقد أجمع العلماء على فضيلة الإيثار بالطعام ونحوه من أمور الدنيا وحظوظ النفوس أما القربات فالأفضل أن لا يؤثر بها لأن الحق فيها لله⁽³⁾ "أما إذا كان العمل يمكن أن يقوم به اثنان أو أكثر، فعلى المسلم أن يحرص على أن يشاركه غيره فيه، ليعم الخير والبركة، ويشرع له أن يختار المشارك له من أهل قرابته لأنهم أولى بالمعروف، الم تر كيف شفّع موسى في أخيه حتى جعله نبياً، -قال تعالى- على لسان موسى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي﴾⁽⁴⁾ أما الدليل من السنة على اختيار أقرب الناس للمشاركة في الخير، فعن أم حبيبة أنها قالت: "قلت: يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان. قال: "وتحبين ؟ " قلت: نعم . لست لك بمخلية، وأحب من

(1) ابن القيم الجوزية، طريق الهجرتين، باب العادتين، دار السلفية، القاهرة، مصر، (ط2- 1394هـ)، (298/1).

(2) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (2/284).

(3) النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى ، (ت 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 18مج، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (ط2- 1392هـ)، (12/14).

(4) سورة طه : 29، 30.

شاركني في خير أختي"⁽¹⁾، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل لأنها كانت بنت أخ من الرضاعة بالإضافة إلى تحريم الجمع بين الأختين⁽²⁾.

ومن الأمثلة على الإيثار بالقرب من السنة النبوية:

- عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب، فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام⁽³⁾: "أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟، فقال الغلام: لا والله يا رسول الله، لا أؤثر بنصيبك منك أحداً، قال: فنتله⁽⁴⁾ رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده"⁽⁵⁾.

"وتضمن الحديث بيان السنة وهي أن الأيمن أحق ولا يدفع إلى غيره إلا بإذنه وأنه لا بأس باستئذانه وأنه لا يلزمه الإذن وينبغي له أيضا أن لا يأذن إن كان فيه تفويت فضيلة أخرى ومصلة دينية كهذه الصورة"⁽⁶⁾.

وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يُقِيمَنَّ⁽⁷⁾ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثُمَّ يُخَالِفُ إِلَى مَقْعَدِهِ فَيَقْعَدَ فِيهِ وَلَكِنْ يَقُولُ أَفْسَحُوا"⁽⁸⁾.

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: وان تجمعوا بين الأختين...، رقم (5107).

(2) زواوي، احمد بن عبد الفتاح، شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، 2مج، دار القمة، الإسكندرية، بلا طبعة - بلا تاريخ نشر، (322/2-323)

(3) الغلام المذكور في هذا الحديث: ابن عباس أنظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (6/74).

(4) (فتله) بفتح التاء المثناة من فوق وتشديد اللام أي وضعه. العيني، عمدة القاري، (21/195)

(5) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب إذا أذن له أو أحله، ولم يبين كم هو، (2451)، (3/130).

(6) النووي، المنهاج على شرح مسلم، (13/201).

(7) لا يقيم: " أي من مقعده ". القاري، مرقاة المفاتيح، (3/1033).

(8) مسلم، صحيح مسلم . كتاب الآداب، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه، حديث (2178)، (4/1715).

"ويكره الإيثار بمحل الفضيلة كالقيام من الصف الأول إلى الثاني، لأن الإيثار وسلوك طرائق الآداب لا يجب أن يكون في العبادات، بل لأمر في حظوظ النفس وأمور الدنيا"⁽¹⁾.

ومما سبق ندرك أن الإيثار، إما أن يتعلق بالناس، وإما أن يتعلق بالله فإن تعلق بالناس فعلينا أن نوثرهم على أنفسنا بشرط أن لا يلحق بنا الضرر، وقد أجمع العلماء على أن فضيلة الإيثار تكون بالأمور الدنيوية أما القربات فالأفضل أن لا يؤثر بها غيره لأن الحق فيها لله تعالى.

(1) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله، (ت 1250هـ)، نيل الأوطار، 8 مج، تحقيق: عصام الدين الصبايطي، دار الحديث، مصر، ط1، (1413هـ - 1993م).

الفصل الرابع

آثار الإيثار على الفرد والمجتمع

آثار الإيثار على الفرد والمجتمع

إن الإيثار من الصفات الكريمة التي يتحلى بها الإنسان المؤمن: الذي يحرص على تقديم الخير للغير، فهو شعار لكل مؤمن يلتزم بهذا الخلق العظيم، بعكس الأثرة التي تقود صاحبها إلى حب النفس وعدم الشعور بالآخرين، فالإيثار له أكبر الأثر في حياة الإنسان من حيث إقامة المودة والمحبة والتعاون بين أفراد المجتمع. وبعد الجولة الطويلة التي تناولنا فيها الحديث عن الإيثار الذي كان بارزاً في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، تبين لنا أن له آثاراً حميدة على الفرد والمجتمع، أهمها:

أولاً: محبة الله تعالى

من يؤثر الله تعالى على غيره فإن الله يحبه، كما يظهر في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾

يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته" (2) بالحزب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعادني لأعيدنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته" (3)(4).

(1) آل عمران: 31

(2) آذنته: أعملته بأني محارب له. العثيمين، شرح رياض الصالحين، (59/2).

(3) مساءته: حياته لأنه بالموت يبلغ إلى النعيم المقيم لا في الحياة، أو لأن حياته تؤدي إلى أرذل العمر، العيني، عمدة القاري، (88/23).

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث (7502) (15/8)

وفي الحديث دليل على أن المؤمن كلما كان قريباً من الله تعالى، مؤثراً إياه على غيره، ومقدماً طاعته على غيره من المخلوقات، فإن الله تعالى يحبه، بحيث يكون معه في سمعه وبصره وكل حركة من حركاته.

ثانياً: كمال الإيمان وحسن الإسلام .

عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"⁽¹⁾.

قال النووي: إن العبد لا يؤمن بالإيمان التام، وإن كان أصل الإيمان موجوداً في النفس الإنسانية وإن لم يكن يحب لأخيه ما يحب لنفسه والمراد بتكلمة الإيمان أن يحب لأخيه من الطاعات والأشياء المباحات مثل ما يحب لنفسه⁽²⁾.

والقيام بذلك يحصل بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، بحيث لا تنقص النعمة على أخيه شيئاً من النعمة عليه وذلك سهل على قلب المؤمن وعسير على القلب القاسي⁽³⁾.

"وفيه الحث على التواضع والإيثار، ولا يحصل ذلك إلا بمجاهدة النفس لأن ذلك مخالف للهوى"⁽⁴⁾.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"⁽⁵⁾ فيه دليل على أن من ثبت له مزية حسن الخلق كان من أهل الإيمان الكامل، فإن كان أحسن الناس خلقاً كان أكمل الناس إيماناً، وأن خصلة يختلف حال الإيمان باختلافها لخليقة بأن ترغب إليها نفوس المؤمنين⁽⁶⁾.

(1) البخاري - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث (13)، (12/1)

(2) أنظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، (16/2)

(3) أنظر: المبار كفوري، أبو العلا، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت. 1353هـ) نُحفة الأحوذى، 15مج، دار الكتب العلمية - بيروت، (184/7)

(4) النجدي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي (ت. 1376)، تطريز رياض الصالحين، تحقيق د. عبد

العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض ط1، (1423هـ - 2002م)، (178/1)

(5) أبو داود، (ت 275هـ)، سنن أبي داود، حديث (4682)، (220/4)، حكم الألباني: حسن صحيح .

(6) الشوكاني، نيل الأوطار، (245/6).

والذي يتبين من خلال هذه الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ينفي كمال الإيمان عن المسلم إلا بعد أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه فإذا تحقق هذا الأمر اكتمل إيمانه. وأن الرسول صلى الله عليه وسلم يوثق خلق الإيثار بين المسلمين من خلال إيمانهم وحبهم لبعضهم البعض.

وجزاء حسن الخلق الجنة، روي عن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق⁽¹⁾.

فتقوى الله وحسن الخلق من الأسباب المؤدية إلى دخول الجنة والتي يتقل بها الميزان يوم القيامة، بل إن المتمسك بهذه الأخلاق كأنه في عبادة دائمة كما بين ذلك رسول الله في حديثه حين قال: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيَدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ"⁽²⁾.

ويظهر أن السبب في هذا أن من يلتزم التقيد بالأخلاق الحسنة ابتغاء مرضاة الله، لا بد أن يتعرض في حياته الإجتماعية إلى ما يستدعي منه أخلاقاً حسنة في معظم أوقاته، وهذا يجعله في حالة عبادة دائمة، يغالب فيها نفسه بالصبر وتحمل مشقة مخالفة الهوى، لذلك يدرك بحسن خلقه درجة الصائم الذي لا يفطر، ودرجة القائم الذي لا يفتر⁽³⁾.

ثالثاً: حسن الظن بالله تعالى.

إن حسن الظن بالله تعالى والشعور بأن الله لن يضيع عمل أي إنسان يفعل الخير فإن ذلك يدفع الإنسان إلى إيثار الله على غيره وإيثار الغير على النفس، وقد جاءت أحاديث صحيحة تحت على حسن الظن، فمنها:

"أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي"⁽⁴⁾

(1) الترمذي، سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، حديث (2004)، (363/4)، وقال الترمذي حديث صحيح غريب، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، (669/2)، وقال صحيح غريب.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، حديث (4798)، (252/4)، وأورد الألباني في السلسلة الصحيحة، (421/2).

(3) الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، (48/1).

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله الله تعالى (ويحذركم الله نفسه)، آل عمران: 29، حديث (7405)، (121/9).

وعن جابر، قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" (1).

فإذا كان العبد حَسَنَ الظَّنِّ بالله لم يخف نقصان ماله إن أنفق منه في سبيل الله، لأنه يؤمن بأن الله سيضاعفه له، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ (2) وقال: ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (3)، فمن استنار صدره، وعلم غنى ربه وكرمه أنفق ولم يخف نقصان المال، وكذلك من ماتت شهواته عن الدنيا ورضي باليسير من القوت، فهذا يعطي ولا يخاف النقصان، وإنما يخاف نقصان المال من أراد الدنيا، وخاف ألا يحصل على قوته غداً، فيضيق عليه الأمر ولا ينفق مخافة على نقصان ماله (4).

فمن حسن ظنه بالله، عاش مقبلاً على فعل الخير، ومن أساء ظنه بالله، عاش مدبراً عن كل خير، ومن حسن ظنه بالله وثق أن الله سيبارك له في ماله فيؤثر غيره على نفسه، ومن أساء ظنه بالله أثر نفسه على غيره، والذي يحسن الظن بالله يوصله إلى الإحسان في عمله. عن الحسن البصري قال: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَحْسَنَ الظَّنِّ بِرَبِّهِ فَأَحْسَنَ الْعَمَلِ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ أَسَاءَ الظَّنِّ بِرَبِّهِ فَأَسَاءَ الْعَمَلِ" (5).

رابعاً: وجوب الجنة والعنق من النار

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتَهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ فَأَعْطَتْنِي كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ تَمْرَةً إِلَى فِيهَا لِتَأْكُلَهَا فَاسْتَنْطَعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتْ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ" (6).

(1) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، حديث (2877)، (2205/4).

(2) سورة سبأ: 39.

(3) سورة النمل: 40.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (253/1).

(5) ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، (187/7).

(6) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، (2630)، (2027/4)، (199/1).

" في هذا الحديث : فضل الإيثار على النفس، ورحمة الصغار، ومزيد الإحسان، والرفق بالبنات، وأن ذلك سبب لدخول الجنة والعنق من النار" (1)

فالرحمة في قلب هذه المرأة وفقها إلى إيثار ابنتيها على نفسها، فكان هذا الإيثار سبباً في دخولها الجنة، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

خامساً: طريق موصل إلى الفلاح لأنه يقي الإنسان من داء الشح.

إن المؤمن الذي يؤثر غيره على نفسه فإن الله يقيه من داء الشح، ومن وقاه الله من الشح سهل له طريق الفلاح، قال تعالى: ﴿ وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (2).

والشح غريزة في النفس الإنسانية، ومن أراد أن يقي نفسه منها فعليه التخلص من حب المال أو إنفاقه في سبيل الله، طلباً لمرضاة الله ورعاية لأخيه المسلم فأولئك السعداء المنفقون المحافظون على آداب الأخوة والمروءة هم المفلحون المقصرون على الفوز العظيم من عنده سبحانه، عاجلاً بالذکر الجميل، وفي الآجل بالجزاء الجزيل (3).

سادساً: توثيق المحبة بين أفراد المجتمع .

كان العرب في الجاهلية في حروب مستمرة، وعداوات ومحن، خاصة الأوس والخزرج، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه أفواجاً، أزال الله من قلوبهم الحقد والعداوة، وأصبحوا بنعمة الله إخواناً متحابين متعاطفين يؤثرون بعضاً بعضاً ولو كان بهم خصاصة، يدينون بمبدأ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (4) وشعارهم: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاجُمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عَضُوهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرَ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى" (5) (6).

(1) النجدي، تطريز رياض الصالحين، (199/1).

(2) سورة الحشر: 9

(3) علوان، نعمة الله بن محمود النخجواني، (ت 920هـ)، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار كابر للنشر، الغورية، مصر، ط1، (1419هـ - 1999م)، (401/2).

(4) سورة الحجرات : 10.

(5) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث (6011)، (10/8).

(6) الحجازي، التفسير الواضح، (183/1).

"والتأمل في إيثار الصحابة على أنفسهم يعرف أن ذلك الإيثار سببه الحب، فالإيثار وليد الحب، حب بعضهم بعضاً"⁽¹⁾

"وأعلى درجات الحب أن يؤثر الإنسان أخاه على نفسه فيجود له بالشيء وهو محتاج إليه، يجوع ليشبع أخوه، ويكد ليرتاح، ويسهر لينام . وهذا المعنى مقطوع من جذوره في بيئات الملحددين والماديين، فإن المؤمنين يؤثرون ابتغاء وجه الله ومرضاته وأما أولئك فلوجه من يؤثرون؟ وعلام يؤثرون؟. ولم تر الدنيا حبا كريماً أصيلاً يعلو على الشهوة والمنفعة كالحب الذي أرسى الإسلام ركائزه بين المسلمين في مجتمع المدينة".

هاهم المهاجرون يخرجون من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله، فيستقبلهم إخوانهم الأنصار من أهل المدينة بصدور رحبة ويتهافتون عليهم تهافت الظمان على الشراب البارد العذب ويتنافسون عليهم، كل منهم يريد أن يحظى بواحد منهم في داره، فلا يرضيهم إلا القرعة، ثم يواخي الرسول بينهم مؤاخاة قامت مقام أخوة النسب والدم، وذابت الفروق الإقليمية والنسبية، فلا قحطانيون وعدنانيون ولا شماليون وجنوبيون، ولا يمنيون وحجازيون، ولا أوسيون وخزرجيون، كما انمحت الفوارق الطبقية والمهنية، فلا أغنياء وفقراء ولا تجار وزراع إنما هي الأخوة الصادقة، إنما هو الحب والإخلاص والإيثار⁽³⁾.

لهذا دعا الله إلى الإيثار ومدح قوماً تخلقوا به، فقال: ﴿ وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شَحْنَنَفْسِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

جاء في سبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نساءه فقلن: ما معنا إلا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يضم أو يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا فأنطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني فقال: هيبي طعامك وأصبي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاءً. فهيات طعامها وأصبحت سراجها

(1) المليجي، د يعقوب، الأخلاق في الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية - الإسكندرية، (2003)، (183).

(2) القرضاوي، الإيمان والحياة، (186).

وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصَلِّحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ فَلَمَّا أَصْبَحَ عَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فِعَالِكُمَا"⁽¹⁾!.

هذه الحادثة تدل على عمق التربية التي غرسها الإسلام في أتباعه، وفيها قبس للذين ينشدون السمو الروحي لخير المجتمع"⁽²⁾. فالإيثار له أكبر الأثر في توثيق المحبة بين أفراد المجتمع إذ يجعلهم متعاطفين متعاونين، بعكس الأثرة التي تجعل صاحبها مكروها منبوذاً من المجتمع لأنه لا يرغب أن يؤدي حقه فيه. هذا ما يحمله الإيثار من سعادة لصاحبه، فمن أهم مكتشفات علم النفس الحديث ما ثبت علمياً أن سعادة الإنسان لا تتحقق بغير تضحية النفس في سبيل الغير .

⁽¹⁾ البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله . (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الحشر :9،

حديث (3798)،(34/5)

⁽²⁾ طيارة، روح الدين الإسلامي، (221).

الخاتمة

أحمد الله حمداً كثيراً الذي أعانني على إنهاء هذه الرسالة وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لله تعالى .

وبعد هذا البحث كان لا بد من ذكر أهم النتائج التي توصلت إليها وتتلخص النتائج فيما يأتي:-

- 1- تضمن الإيثار معنى التفضيل والاختيار والاستثناء في سياق القرآن الكريم والسنة النبوية.
- 2- عدد السور التي أوردت الإيثار خمس سور والأحاديث النبوية إحدى وعشرون حديثاً .
- 3- أنواع الإيثار: إيثار الدنيا على الآخرة ، وإيثار الحق على الباطل، وإيثار الباطل على الحق، وإيثار الله للصالحين في الأرض، وإيثار الغير على النفس .
- 4- أسباب إيثار الدنيا على الآخرة: حب الدنيا والجهل بحقيقتها، وتزيين الدنيا، وقسوة القلب وطول الأمل، والطغيان .
- 5- أهم أسباب إيثار الحق على الباطل: قوة الإيمان مثل إيمان السحرة، وإيثار رضا الله والرسول صلى الله عليه وسلم على الأقارب وكل منافع الأرض.
- 6- أهم أسباب إيثار الباطل على الحق: استحباب الكفر على الإيمان، واستحباب الدنيا، والانقياد للهوى .
- 7- يصح للإنسان الإيثار بجميع ماله إذا كان قادراً على الصبر .
- 8- خلق الإيثار لا يتحقق بين الناس إلا باستقرار الإيمان في نفوسهم ومحبة بعضهم لبعض.
- 9- الاقتداء برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بخلق الإيثار خاصة في وقتنا الحاضر الذي يفتقد فيه الناس لهذا الخلق العظيم .

10- أهم ثمرات الإيثار: محبة الله تعالى، وكمال الإيمان وحسن الإسلام، وحسن الظن بالله، والوصول إلى طريق الفلاح، توثيق المحبة بين أفراد المجتمع.

11- جزاء من يؤثر الباطل على الحق الغضب والعذاب الأليم من الله تعالى.

فهرس الآيات

| الصفحة | رقمها | السورة | الآية |
|--------|---------|----------|---|
| 56 | 2 | البقرة | هُدًى لِّلَّذِينَ آمَنُوا ... |
| 57 | 20 | البقرة | يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ |
| 64 | 40 | البقرة | يَبْنِي إِسْرَاءَ يَلْ أَدْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا ... |
| 64 | 47 | البقرة | يَبْنِي إِسْرَاءَ يَلْ أَدْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِي ... |
| 65 | 87 | البقرة | أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ... |
| 30 | 14 | آل عمران | زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ... |
| 30 | 15 | آل عمران | قُلْ أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ بِحَيْثُ مَنَ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ ... |
| 77، 51 | 31 | آل عمران | قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ يُغْفِرْ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ... |
| 77، 11 | 92 | آل عمران | لَن نَّالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ |
| 65 | 110 | آل عمران | كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ... |
| 44 | 200 | آل عمران | يَتَّيِبُهَا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ... |
| 64 | 12 | المائدة | وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ |
| 50، 49 | 51 | المائدة | يَتَّيِبُهَا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ... |
| 50 | 55 | المائدة | إِنَّهَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا |
| 45 | 104 | الأعراف | وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ لِي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ |
| 45 | 107-108 | الأعراف | فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ ... |
| 14 | 155 | الأعراف | وَأَخَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا |
| 40 | 60 | الأنفال | وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ |

| | | | |
|-----------------|----------|----------|--|
| 49 ، 13 | 23 | التوبة | يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ... |
| 49 | 24 | التوبة | قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ ... |
| 50 | 67 | التوبة | الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ |
| 53 | 55 | يوسف | قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ |
| 63 ، 9 | 91 | يوسف | قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا |
| 14 | 92 | يوسف | قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا |
| 40 | 111 | يوسف | لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ |
| ، 42 ، 29 60 | 3 | إبراهيم. | الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ |
| 61 | 106 | النحل | فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ |
| 61 ، 14 | 107 | النحل | مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ... |
| 61 | 109، 108 | النحل | أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ ... |
| 40 | 44 | طه | فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى |
| 48 | 73 | طه | قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي ... |
| 73 | 30 ، 29 | طه | وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ ﴿٢٩﴾ هٰرُونَ أَخِي ... |
| 38 | 41 | الحج | الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ... |
| 80 | 40 | النمل | فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ |
| 57 | 56 | القصص | إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ |
| 37 | 76 | القصص | إِنَّ قُرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَعَى عَلَيْهِمُ |
| 44 ، 37 | 77 | القصص | وَأَبْتَعِ فِيهَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا ... |

| | | | |
|-------------------------|----|----------|---|
| 30 | 64 | العنكبوت | وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ... |
| 61، 30 | 69 | العنكبوت | وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ... |
| 59 | 29 | الروم | بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ |
| 80 | 39 | سبأ | وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ |
| 59 | 26 | ص | يَنْدَاؤُذُنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ ... |
| 14، 55، 56 | 17 | فصلت | وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى |
| 38 | 30 | فصلت | إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا |
| 36 | 27 | الشورى | وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ ... |
| 57 | 52 | الشورى | وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ |
| 64، 15 | 32 | الدخان | وَلَقَدْ آخَرْنَا نُهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ |
| 58 | 23 | الجاثية | أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ |
| 81 | 10 | الحجرات | إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ |
| 32 | 16 | الحديد | أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا ... |
| 33 | 17 | الحديد | أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا |
| 41 | 20 | الحديد | أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ ... |
| 54 | 22 | المجادلة | لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ |
| 1، 11، 20، 69، 81 | 9 | الحشر | وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ |
| 49 | 1 | المتحنة | يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنْخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ |
| 49 | 4 | المتحنة | فَدَكَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ |

| | | | |
|---------------------|---------|-----------|--|
| 36 | 9 | المنافقون | يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَأْمُولُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ |
| 46 | 11 | التحریم | وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ... |
| 66 ، 1 | 4 | القلم | وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ |
| 35 | 39-37 | النازعات | فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ |
| 59 | 41 ، 40 | النازعات | وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ... |
| ،28 ، 19 30 ، 29 | 17 ، 16 | الأعلى | بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ |
| 28 | 19 ، 18 | الأعلى | إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ |
| 36 | 8 | العلق | إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ |
| 36 | 7- 6 | العلق | كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَيطغى ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ |

فهرس الأحاديث

| الصفحة | أطراف الحديث |
|--------|--|
| 26 | أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقَطِّعَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ... |
| 29 | استحيوا من الله حق الحياء... |
| 34 | اغتنم خمساً قبل خمس شبابك... |
| 26 | سترون من بعدي.... |
| 31 | إن الدنيا حُلوة خَصِرة... |
| 33 | إن العبد إذا أذنب تكثب في قلبه... |
| 22 | إيثار النبي أهل الضفة والأرامل... |
| 34 | كن في الدنيا... |
| 22 | شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة... |
| 21 | فأثر التوثيات والأسامات والحميدات... |
| 23 | فإنه سيصيبكم أثره بعدي إنكم سترون بعدي أثره.. |
| 25 | فقال النار أوثرت بالمتكبرين... |
| 22 | قلبوثر بما له عصبته... |
| 9 | فوالله ما استأثر بها عليكم... |
| 36 | فوالله ما الفقر أخشى عليكم... |
| 24 | في منشطنا ومكرهنا...وأثره علينا... |
| 21 | فيؤثر على نفسه.. كما أثر الأنصار المهاجرين... |
| 22 | قالت لا أوثرهم بأحد أبدا... |
| 23 | ولا استأثر به عليكم.. |
| 22 | كنت أريده لنفسي فلاؤثرته اليوم على نفسي... |
| 23 | كيف أنت وأئمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء... |
| 22 | لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحداً... |
| 39 | من كل وكفى... |
| 11 | لا يؤمن أحدكم... |
| 22 | لم أوثر أحداً على نفسي لا أوثر بنفسي منك أحداً... |
| 25، 21 | لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، آثَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْاساً... |

| | |
|--------|---|
| 42 | اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ... |
| 41، 32 | لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تُعَادِلُ عِنْدَ اللَّهِ... |
| 21 | لَوْ كُنْتُ مُؤَثِّرًا بِهَا أَحَدًا لَأَثَرْتُ بِهَا عَشِيرَتِي... |
| 39 | يَا غلام إني أعلمك... |
| 21 | وَأَثَرْنَا وَلَا تُؤَثِّرْ عَلَيْنَا... |
| 22 | وَرَجَا إِذَا جَاءَ أَهْلُهَا أَنْ يُؤَثِّرُوهُ بِهَا... |
| 22 | وَلَمْ يُؤَثِّرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا... |
| 33 | يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشَبُّ... |
| 43 | حَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ... |
| 51 | أَنْ أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ... |
| 74 | لَا يَقِيمُ أَحَدَكُمْ... |
| 77 | مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا... |
| 78 | أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ... |

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- آل سعدي، أبو عبدالله، عبدالرحمن بن عبدالله بن ناصر بن حمد (ت 1376هـ)، بهجة قلوب الأبرار وقوة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخيار، تحقيق: عبدالكريم بن رسمي آل الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط1، (1422هـ - 2002م).
- الألويسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني (ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت (ط1 - 1415هـ).
- الألباني، محمد ناصر الدين (ت 1420هـ)، صحيح الترغيب والترهيب، 3م، مكتبة المعارف - الرياض، ط5.
- البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ) : صحيح البخاري، 9مج، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (ط1-1422هـ).
- أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني، الكفوي (ت 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان دروش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت.
- البقاعي، ابي بكر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي، (ت 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 22مج، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- البيضاوي، ناصر الدين، أبو سعيد، عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، محمد عبدالرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (ط1 - 1418هـ).

- الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، (ت279هـ)، سنن الترمذي، 5مج، تحقيق: أحمد شاكر، وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط2، (1395هـ -1975م).
- التستري، أبو محمد، سهل بن عبدالله بن يونس بن رفيع (ت283هـ)، تفسير التستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1 - 1423هـ).
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم، (ت728هـ)، جامع الرسائل، 2مج، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط1، (1422هـ -2001).
- الثعالبي، أبو زيد، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف (ت875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1 - 1418هـ).
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت816هـ)، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1403هـ -1983م).
- الجلعود، محماس بن عبدالله بن محمد (ت1428هـ)، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، 2مج، دار اليقين، ط1، (1407هـ -1987م).
- ابن الجوزي، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ)، التبصرة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، (1406هـ -1986م).
- الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، (دار الجيل الجديد -بيروت، ط10- 1413هـ).

- ابن حجر، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ): فتح الباري، شرح صحيح البخاري، 13مج، دار المعرفة- بيروت، (ط 1379).
- الحنبلي، زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، (ت 795هـ)، التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، تحقيق: بسير محمد عيون، مكتبة المؤيد- الطائف، دار البيان- دمشق، ط2، (1409هـ - 1988).
- الحنبلي، زين الدين، عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن (ت 795هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، 2مج، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، (1422هـ - 2001م).
- الخازن، أبو الحسن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحبي. (ت 741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين . دار الكتب العلمية-بيروت، (ط1- 1415هـ).
- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت 1069هـ)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الرّاضي على تفسير البيضاوي، 8مج، دار صادر- بيروت.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو (ت275هـ) سنن أبي داود، 4مج، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، بلا طبعة.
- الرازي، زين الدين، أبو عبدالله، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي، (ت666هـ) مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت- صيدا، ط5، (1420هـ / 1999م).

- الرازي، أبو عبدالله، محمد بن عمر بن الحسن الحسين التميمي، (ت 606هـ)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط3- 1420هـ).
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - دار الشامية دمشق - بيروت، ((ط1- 1412هـ)).
- الزبيدي، محمد بن مرتضى الحسيني (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المختصين، دار الهداية.
- الزحيلي، د. وهبه بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 30مج، دار الفكر المعاصر، دمشق.
- الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، 3مج، دار الفكر-دمشق، (1-1422هـ).
- الزمخشري، أبو القاسم، محمد بن عمرو بن أحمد (ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 4مج، دار الكتاب العربي-بيروت، (ط3- 1047).
- زواوي، احمد بن عبد الفتاح، شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، 2مج، دار القمة، الإسكندرية، بلا طبعة - بلا تاريخ نشر.
- زين العابدين، زين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي (ت1031هـ)، التفسير بشرح الجامع الصغير، 2مج، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط3، (1408هـ - 1988م).
- السباعي، مصطفى، أخلاقنا الاجتماعية، المكتب الإسلامي، (ط4-1397هـ).

- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله (ت 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، (1420هـ - 2000م).
- السعدي، أبو عبدالله، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد (ت 1376هـ)، القواعد الحسان لتفسير القرآن، مكتبة الرشيد- الرياض، ط1، (1420هـ - 1999م).
- السمرقندي، أبو الليث، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: 373هـ)، بحر العلوم، (بلا تاريخ نشر وبلا طبعه).
- السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبدالجبار بن أحمد المرزوي (ت 489هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن ابراهيم وغنيم ابن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1، (1418هـ - 1997م).
- السيوطي، جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، 6مج، تحقيق: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الخبر، ط1، (1416هـ - 1996م).
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني (ت 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت- لبنان، (1415هـ - 1915م)..
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله، (ت 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، الكلم الطيب- دمشق، بيروت، (ط1- 1414هـ).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله، (ت 1250هـ)، نيل الأوطار، 8 مج، تحقيق: عصام الدين الصبايطي، دار الحديث، مصر، ط1، (1413هـ - 1993م).
- صقر، أحمد حسين، من أخلاق الدعاة، ط1، (1980- 1400م).

- الصنعاني، أبو إبراهيم، محمد بن اسماعيل بن صلاح بن محمد الحسيني (ت 1182هـ) **سبل السلام**، 2مج، دار الحديث، بلا طبعة، بلا تاريخ.
- أبو طالب الملكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت 386هـ)، **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد**، 2مج، تحقيق : د عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، (1426-2005م).
- طباره، عفيف عبدالفتاح، **روح الدين الإسلامي**، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط12، (1394هـ - 1974م).
- طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 (1998-).
- الطيالسي، أبو داود، سليمان بن الجارود (ت 204هـ)، **مسند أبي داود الطيالسي**، 4مج، تحقيق: الدكتور محمد بن عبدالمحسن التركي، دار هجر - مصر، ط1، 1419هـ-1999م.
- ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي (ت 880هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، 20مج، تحقيق: عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1419هـ - 1998م).
- عباس، فضل، حسن، **القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته**، دار الفرقان - عمان - الأردن، ط1407 - 1987م).
- العثميين، محمد بن صالح ب محمد، (ت 1421هـ)، **شرح رياض الصالحين**، 6مج، دار الوطن، الرياض، (1426هـ).
- العثميين، محمد بن صالح بن محمد: **الضيء اللامع من الخطب الجوامع**، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط1، (1408هـ - 1988م).

- ابن عجيبة، ابو العباس، احمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني (ت 1224هـ)،
البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي، رسلان، د. حسن
عباس زكي، القاهرة. دار الكتب العلمية - بيروت، ط2 (1423هـ-2002م).
- العراقي، أبو الفضل، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن
إبراهيم وآخرون،(ت 806هـ) طرح التثريب في شرح التقریب، 8 مج، دار إحياء التراث
العربي.
- دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، ط183هـ.
- بالجن، علي، مقدار محمد، علم الأخلاق الإسلامية، دار عالم الكتب - الرياض، ط1،
(1424هـ - 2003م).
- العيني، أبو محمد محمود بن احمد بن موسى بن احمد بن حسين (ت 855هـ)، عمدة
القاري شرح صحيح البخاري، 25 مج، دار إحياء التراث العربي- بيروت بلا طبعة، بلا
تاريخ نشر.
- الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد (ت 505هـ)، إحياء علوم الدين، 4 مج، دار
المعرفة- بيروت.
- الغزالي، محمد (ت 1416هـ)، فقه السيرة، دار القلم- دمشق (ط1- 1427هـ).
- غلوش، أحمد أحمد، دعوة الرسل عليهم السلام، مؤسسة الرسالة، ط1، (1423هـ-
2002م).
- الغنيمات، عبدالله بن محمد، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، 2مج، مكتبة الدار،
المدينة المنورة، (ط1-1405هـ).

- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا (ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر (1399هـ - 1969م).
- ابن فورك، أبو بكر، محمد بن الحسن (ت 406هـ)، تفسير ابن فورك، تحقيق: علال عبدالقادر بندويش، جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية، ط1، (1430-2009م).
- الفوزان، صالح بن فوزان بن عبدالله، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والسرور على أهل الشرك والتوحيد والإلحاد، دار ابن الجوزي، ط4، (1420هـ - 1999م).
- القاري، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن، نور الدين الملا الهروي (ت 1014هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 9مج، دار الفكر، بيروت- لبنان. ط1، (1422هـ - 2002م).
- القرضاوي، د. يوسف، الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط4، (1399هـ - 1979م)، (1)
- القرطبي، أبي عبدالله، محمد من أحمد الأنصاري (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، 20مج، تحقيق: أحمد البردوي وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط2، (1384/1964).
- قطب، سيد، إبراهيم حسين الشاذلي (ت1385هـ)، في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت- القاهرة، (17- 1412).
- قطب، محمد ، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق، ط1. (1403هـ - 1983م).
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت751هـ)، تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال - بيروت، (ط1-1410هـ).

- ابن قَيِّم الجوزية، شمس الدين، محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد، (ت 751هـ)، الفوائد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط2، (1393هـ - 1973م).
- ابن قَيِّم الجوزية، أبو عبدالله، محمد بن أبي بكر (ت751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، 2مج، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3، (1416هـ - 1996م).
- ابن كثير، أبو الفداء، اسماعيل بن عمر (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، (1420هـ - 1999م).
- ابن ماجه، أبو عبدالله، محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ) سنن ابن ماجه، 2مج، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- المباركفوري، أبو العلا، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت 1353هـ) تحفه الأحوذى، 15مج، دار الكتب العلمية - بيروت.
- مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، (1425هـ - 2005م).
- ابن مسكويه، ابي علي، أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي (ت421هـ)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، 1مج، تحقيق: ابن الخطيب، ط1.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت 261هـ)، صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث - بيروت.
- المليجي، د. يعقوب، الأخلاق في الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية -الإسكندرية، (2003).

- المناوي، زين الدين محمد، عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين (ت 1031هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، 6مج، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، (ط1-1356).
- المنبجي، شمس الدين، محمد بن محمد بن محمد (785هـ)، تسلية أهل المصائب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، (1426هـ - 2005م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت: 711هـ)، لسان العرب، فصل الألف، 15مج، دار صادر- بيروت، ط3 (1414هـ).
- الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، 2مج، دار القلم- دمشق، ط2، (1407هـ - 1987م).
- الميلادي، علي حسن، كتاب أحسن القصص بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، دار الوفاء- الإسكندرية، (ط1428 - 2007م).
- النجدي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحرملبي (ت. 1376)، تطريز رياض الصالحين، تحقيق د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع- الرياض ط1، (1423هـ- 2002م).
- النحلاوي، عبدالرحمن، أصول التربية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الكفر، ط25، (1428هـ - 2007م).
- النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت 307هـ)، السنن الكبرى، 2 مج، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (1421هـ - 2001م).

- النسفي، أبو البركات، عبدالله بن أحمد بن محمود (ت710هـ). تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، 3مج، تحقيق: يوسف على بديوي، دار الكلم الطيب- بيروت، ط1، (1419هـ- 1998م).
- النووي، ابو زكريا محيي الدين بن شرف (ت 676هـ)، تحديد ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم- دمشق، (ط1-1408).
- النيسابوري، نظام الدين، الحسن بن محمد بن حسن القمي (ت850هـ)، غرائب القرآن ورجائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت (ط1- 1416هـ).
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل (395هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر.
- الهندي، زين الدين بن عبدالعزيز (ت987هـ)، الاستعداد للموت وسؤال القبر، تحقيق: أبو المنذر سعد كريم الدرعمي، دار ابن خلدون- الإسكندرية، بلا طبعة، بلا سنة نشر.
- الوكيل، محمد السيد، مدرسة الدعوة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (ط12-1400هـ).

**An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

Altruism in the Quran and Sunnah

**By
Ghosen Ghannam Nayef Fayez**

**Supervised by
Dr . Abdullah Odeh**

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din), Faculty of Graduate Studies, An- Najah National University, Nablus, Palestine.

2014

Altruism in the Quran and Sunnah
By
Ghason Ghannam Nayef Fayez
Supervised by
Dr . Abdullah Odeh
Abstract

This thesis objective study, a step on the road to objective interpretation of the Koran and the Sunnah, addressed the issue of altruism through Quranic verses and hadiths, has been divided into four chapters, an introduction and a conclusion, the talk was at the forefront of the importance of this study, and to highlight the value of the Islamic nation, and the for classes, it was the first chapter of which revolves around the meaning of altruism in the language and terminology and words related to it.

Then followed by the second chapter entitled: altruism in the context of the Qur'an and Sunnah , and spins this chapter about displaying material (altruism) in the Holy Quran and the most prominent notes and subtleties and gestures to the receipt of discharges material (altruism) in the Holy Quran and the discussion dealt with the presentation of material (altruism) in the Sunnah and the meaning of Article (altruism) in the Sunnah; highlighted the results of this chapter that the words of altruism in the verses and hadiths carry the meaning in context convergent came altruism between preference and choice and customization.

Then followed by the third chapter, entitled: Types of altruism and the image in the Qur'an and Sunnah, which is the preference of the Hereafter, and the preference of right over wrong and altruism falsehood on the right and the preference of the righteous in the ground and altruism on the self,

and the main results of this chapter is to slander in preference of life related on Hereafter , the taking of human mundane without the Hereafter it is not blameworthy , and that the true faith in oneself is a major cause of the preference right over wrong .

Then followed by the fourth chapter entitled: effects of altruism on the individual and society. And talking about the love of God and faith, a connector road to the farmer and lead to closer ties between the people and so on.

This document was created with Win2PDF available at <http://www.win2pdf.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.